التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الثلاثون - العدد الحادى عشر - ذو القعدة ١٤٢٢ هـ - ١٠٠ قرش

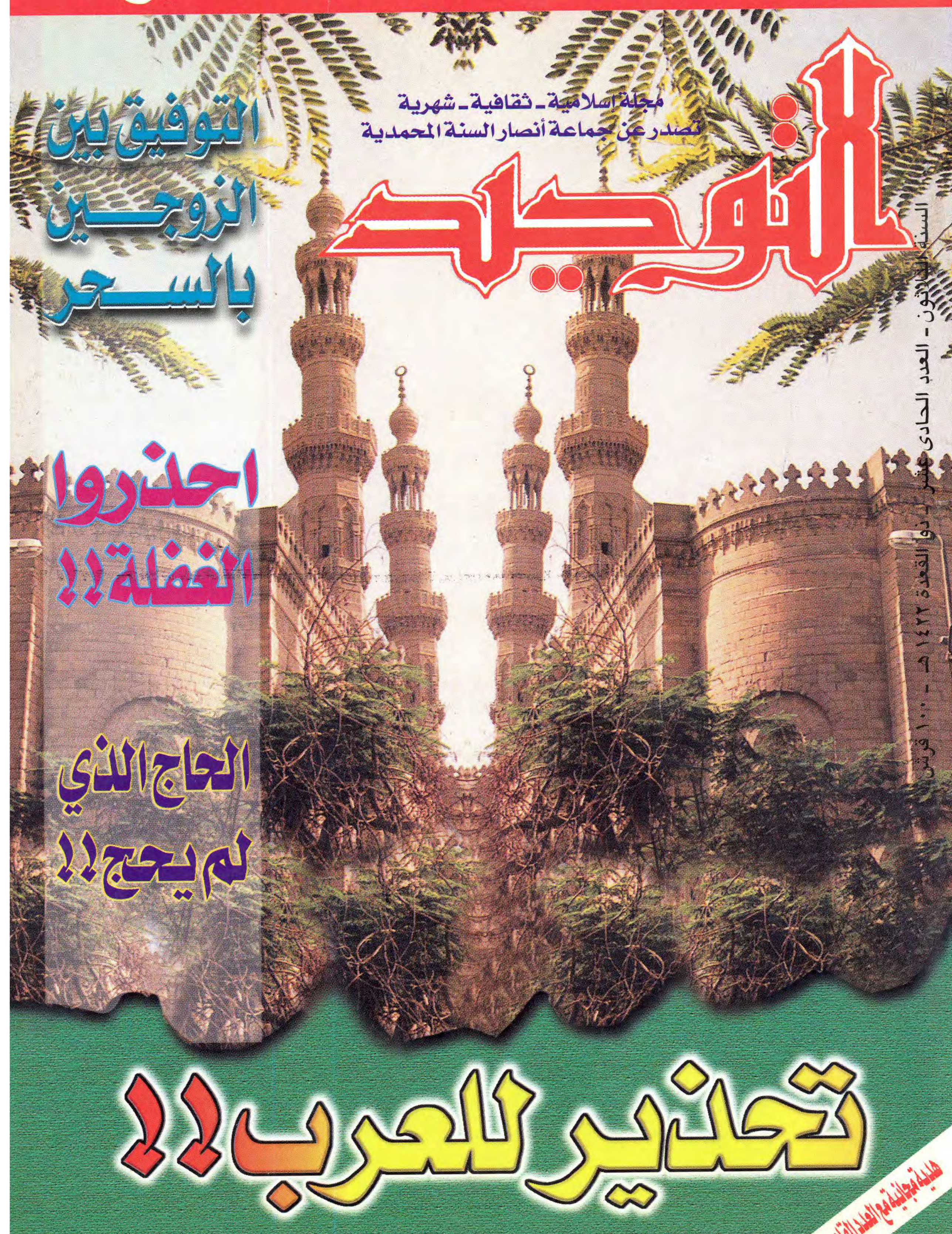

التوفيق بين الزوجين بالسحر

احذروا الغفلة !!

الحاج الذي لم يحج !!

تحذير للعرب !!

هدية مجانية مع العدد ال

جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

محمود غريب الشربيني

جمال عبدالرحمن

د. إبراهيم الشربيني

الاشتراك السنوي:
١- فى الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- فى الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

رئيس مجلس الإدارة **محمد صفوت نور الدين**

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام «الدعوة سلعة الدعاة» ٢
حديث الشهر : د. جمال المراكبى «التوكل على الله» ٥
التفسير : د. عبدالعظيم بدوى «سورة الحديد» ١٠
باب السنة : الرئيس العام تحذير للعرب!! ١٤
إن الدين عند الله الإسلام محمد عبدالله ابراهيم ١٩
كلمة التحرير : رئيس التحرير المؤامرة الكبرى ٢١
نظرات على السنة متولي البراجيلي ٢٧
الإعلام بسير الأعلام مجدي عرفات ٢٩
احذروا الغفلة جمال عبدالرحمن ٣١
أسباب النصر الموعود على شرذمة اليهود د. الوصيف على حزة ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
اثر القدوة على النشء إبراهيم الشربيني ٣٨
حكم خروج المرأة اسامة العوضى ٤٠
ويبقي الود ما فقه النساء حسين ابراهيم الدسوقي ٤٣
قصيدة لا تخدعونا حسن ابو الغيط ٤٤
الأخلاق في الاسلام محمد عاطف التاجوري ٤٥
الفتاوى ٤٦
إصلاح العقيدة معاوية محمد هيكل ٥٢
تحذير الداعية من القصص الواهية علي حشيش ٥٣
أخي القارئ صحح أحاديثك ٥٦
الحاج الذي لم يحج : فهد بن عبدالرحمن اليحيى ٥٨
اقرأ من مكتبة المركز العام : علاء خضر ٦٠
فرق حذر منها العلماء محمد السبيعي ٦٢
رفقا بعوام المسلمين علي بن السيد الوصيفي ٦٤
بين السنن والمبتدعات محمد بن عبدالسلام الشقيري ٦٧
الفصل بين التأويل والتبديل محمود عبدالرازق ٦٩
قصيدة : سيكبرِّ التاريخ ٧٢
حسين إبراهيم حسين

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

رئيـــس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

التحريــــر
٨ شارع قوله ـ
عابدين ـ القاهرة
ت : ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع
والاشتراكات :
ت : ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار
السنة المحمدية

ثمن النسخة :
مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

السلام عليكم

هدية

قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) (النساء: ١١٥)، وقال سبحانه: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (الأنعام: ٦٨).

وقال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ) (آل عمران: ٧)، وقال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الصف: ٥).

هذه الدرر البهية هدية لكل مؤمن صاحب حماس متوقد يحزنه ما يرى من عمل المبطلين وشبهات الضالين، ينكرون الفهم الثابت في أمور؛ مثل عذاب القبر، والشفاعة الحقة، أو يشككون في ثوابت الشرع في حكم الله في الميراث والمرأة، أو يلقون الشبهات ويشيعون الفواحش والمنكرات، فلا تسمعوا لهم قولاً، ولا تشهدوا لهم مجلسًا، ولا تتناقلوا عنهم حديثًا؛ لتبور سلعتهم، ويخيب سعيهم.

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ).

الرئيس العام

المراسلات باسم المشرف العام

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

الدعوة سلعة الدعاة

بقلم:
الرئيس العام

إن الله خلق الإنس والجن والملائكة لعبادته وحده وتحقيق توحيده بينهم، لذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال جل ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ثم قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

العبادة وظيفة الخلق جميعا

فالعبادة وظيفة الخلق جميعًا، والأنبياء حملة هذه الدعوة، والنبي الخاتم ﷺ الداعية الأول في أمته، والذين آمنوا به واتبعوه حملة الدعوة من بعده، يقوم بها أتباعه، فالدعاة وظيفتهم امتداد لدعوة الرسل وهي هداية الناس إلى ربهم ليعبدوه ويوحدوه، فهذه الوظيفة منبثقة من وظيفة الرسل؛ الدعوة إلى الله طريقهم، وهداية الناس وتعبيدهم لربهم هدفهم، فهم أصحاب سلعة يروجونها بين الناس، والثمن الجنة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٤١]، والله جعل لهذه الدعوة ثمنًا غاليًا هو الجنة، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فهم ليسوا كالكافرين الذين اشتروا الضلالة بالهدى واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فـ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾.

لذلك يجدر بالدعاة- وهم واثقون بالأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى- أن يحسنوا تسويق بضاعتهم وعرضها والترويج لها.

واجب الدعاة

واليوم قد صار للتسويق علومٌ، وللإدارة علومٌ، وللتخطيط علومٌ، فعلى الدعاة أن يوظفوا تلك العلوم لخدمة سلعتهم، وهي أشرف السلع، والعوض عنها الجنة أغلى العوض، ففي حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة». ذلك يعني أن من رغب في سلعة اللَّه «الجنة» ضحى ببعض نومه وراحته، فأخذ من الدنيا بقدر حاجته ليصل إلى بغيته- الجنة- وطريقه في ذلك هو طريق الأنبياء الدعوة إلى اللَّه والعبادة بالتوحيد والإخلاص.

فمن عجب أن تجد هذه البضاعة الغالية يزهد فيها أهلها ولا يحسن عرضها دعاتها ويدخلون الشيطان بينهم، والكثير يطلب بها عرضًا من الدنيا، وهذا مثال طيب في التابعي الجليل عبد الله بن محيريز (دخل إلى دكان بزاز يومًا يشتري ثوبًا فرفع له في السوم(١)، فقال جار له: ويحك، إنه عبداللَّه بن محيريز، ضع له، ضع له. فأخذ عبد اللَّه بن محيريز بيد خادمه وخرج وهو يقول: إنما جئنا لنشتري بأموالنا لا بأدياننا). فلم يرض أن يشتري بثمن يُخفض له فيه من أجل دينه.

أحسن الطرق في دعوة الناس طريقة القرآن!!

وإن أحسن الطرق في دعوة الناس ومخاطبتهم هي طريقة القرآن الكريم وطريقة النبي ﷺ في سوق النص القرآني والحديث النبوي، فإن القرآن والسنة قد جادلا كل الطوائف وأقاما الحجة على كافة الأصناف، ففيهما الحجج العقلية القوية الدامغة، وإن من فضل اللَّه سبحانه أن جعل القرآن مبينًا بالسنة، فقال تعالى لنبيه الكريم: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فكان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة للدعاة الحكماء، حيث جعل اللَّه في الأحداث التي مرت عليه البيان والتطبيق للشرع، فما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] إلا بعد أن حقق بقَدَره وأنزلَ بشرعه ما يكفى لبيان الأحكام التي يحتاجها الناس إلى قيام الساعة.

الدعوة إلى الله إرشاد وإنقاذ للبشرية من الضلال

والدعوة إلى اللَّه تعالى إرشاد وإنقاذ للبشرية، فهي ترشدهم إلى أهم ما في الوجود، فبدون الدعوة لا يتعرف البشر على ربهم ويتخبطون في سبب خلقهم ووجودهم ومآلهم بعد الموت، فيحرقون جثثهم أو يحنطونها ويظنون أنهم خلقوا للدنيا: «أرحام تدفع وأرض تبلع»!! فهي الجاهلية التي وصفها ربنا بقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فالدعوة ترشدهم إلى ربهم، فيعرفونه بأسمائه وصفاته، ويعلمون أنه السميع البصير، القوي المتين، المنتقم الجبار، البر التواب، الغفور الرحيم، فيخافونه سبحانه ويخشونه، ويرجون رحمته، ولا يخشون غيره، ولا تأخذهم في اللَّه لومة لائم، إنما ينتهون عن الفواحش والمنكرات سرًا وعلنًا لأن الله يراهم ويسمعهم ويقدر عليهم، ويرجعون إليه تائبين نادمين، فإن خافوه هربوا إليه لأنه «لا منجا ولا ملجأ من اللَّه إلا إليه»، ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

والدعوة إلى اللَّه انقاذ للبشرية من أسباب الدمار والهلاك؛ لأن أهواء الخلق وغرائزهم تضرهم وترديهم، فيتناهبون الأموال، ويسفكون الدماء وينتهكون الأعراض، ويجورون على حقوق الآخرين، والدعوة إلى اللَّه تعالى انقاذٌ لغير المسلمين، وهي كذلك انقاذٌ للمسلمين، فهي تذكير للغافلين والعصاة، ودعوة للمنحرفين عن الصراط المستقيم، وإزالة للمفاسد أو تقليل لها، وتعليم وإزالة للشبهات التي ينشرها أعداء الدين وتكثير للمتمسكين بأوامر الشرع الشريف.

وإن الحكمة في الدعوة إلى اللَّه تعالى لا تقتصر على لين الكلام والترغيب والرفق والحلم والعفو والصفح، بل تشمل جميع الأمور التي تعمل بإحكام واتقان، وذلك بأن ينزل كل أمر في المنزل اللائق به، فالقول الحكيم والتربية والتعليم في مواضعها، والموعظة المرققة للقلوب في مواضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في مواضعها، ومحاجة الظالم المعاند والمستكبر المتطاول في مواضعها، والزجر والغلظة والقوة والشدة في مواضعها، كل ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة للأحوال والوقائع والزمان والمكان في مختلف العصور والبلدان، مع الحرص على إحسان القصد والرغبة في ثواب اللَّه والجنة.

فالحكمة تجعل الداعي يقدر الأمور ويعطيها ما تستحقه، والناس في حاجة إلى جده ونشاطه وعمله، ولا يدعو إلى الانقطاع والانعزال عن الناس عند حاجة المسلمين إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم وأعراضهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم يحتاجون إلى تعليم الوضوء والصلاة.

على الداعية أن يجعل الجهاد نصب عينيه

فالواجب على الداعي أن ينظر في حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال. كذلك على الداعي أن يجعل الجهاد نصب عينيه بكل درجاته ومراتبه. يقول ابن القيم: التحقيق أن جنس الجهاد فرض عين، إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع.

ثم يقول: الجهاد أربع مراتب؛ جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا؛ إحداها: أن يُجاهدها على تعلم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه شقيت في الدَّارين. الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجردُ العلم بلا عمل إن لم يضرَّها لم ينفعها. الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه مَنْ لا يعلمُه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الهُدى والبينات، ولا ينفعه علمُهُ، ولا يُنجيه من عذاب اللَّه. الرابعة: أن يُجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى اللَّه، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله للَّه، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانيين، فإن السلف مُجمعون على أن العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحقَّ، ويعمل به، ويُعَلِّمَه، فمن علم وعَمِلَ وعلَّم فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوتِ السماوات.

وأما جهادُ الشيطان، فمرتبتان؛ إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشُكوك القادحة في الإيمان. الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهادُ الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهواتِ والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوكَ والشبهات.

وأما جهادُ الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهادُ أرباب الظلم، والبِدع، والمنكرات، فثلاث مراتب: الأولى: باليد إذا قَدَرَ، فإن عَجَزَ، انتقل إلى اللسان، فإن عجز، جاهد بقلبه، فهذه ثلاثة عشرَ مرتبةً من الجهاد، و«من مات ولم يغزو، ولم يُحدِّث نفسهُ بالغزو، مات على شُعبةٍ من النفاق». أخرجه مسلم (١٩١٠).

هذه كلمات وخواطر في الدعوة إلى اللَّه، وقد فصلها اللَّه في كتابه وجعل المثال فيها دعوة الأنبياء وما قص من حالهم في أممهم وجعل كذلك حياة رسول الله ﷺ والقرون الخيرة خير مثال وتطبيق لمنهج الإسلام والغفلة عنه داء عضال أوجد الإرهاب الذي يشكو منه العالم اليوم، فواجب أمة الإسلام، إماطة اللثام عن حياة خير الأنام للاقتداء به في الأقوال والأعمال.

والله من وراء القصد.

---

(١) رَفَع السوم : أي تغالى عليه في الثمن.

بقلم د. جمال المراكبي

التوكل على الله

الحلقة الثانية

النبي ﷺ سيد المتوكلين على الله

أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالتوكل عليه في تسع آيات من القرآن الكريم في جميع مراحل الدعوة، ففي القرآن المكي نجد قول الله تعالى:

- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وفي القرآن المدني نجد قول الله تعالى:

- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ٨١].

- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٣].

وجاء الأمر للنبي ﷺ بالتوكل بصيغة أخرى:

- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩].

- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

لقد كان النبي ﷺ سيد المتوكلين، قام بأعباء الدعوة إلى الله عز وجل، ولم يلتفت إلى إعراض المعرضين وتوليهم ولا إلى جمع المشركين، ولا إلى تفلت المنافقين، ولكنه أخذ بأسباب البلاغ والنصر والتمكين واعتمد على ربه ووثق بوعده ونصره فكان النصر المبين والتمكين للمؤمنين، ولهذا قال للصديق في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا». ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال بعد أحد: «حسبنا الله ونعم الوكيل». ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وبشر أصحابه يوم الأحزاب عند حفر الخندق بفتح فارس والروم، ولهذا قام أصحابه من بعده بواجب الدعوة إلى الله خير قيام، فأقاموا خلافة راشدة على منهاج النبوة،

ومكن اللَّه عز وجل لهم في الأرض.

ومن تمام توكله على ربه سماه اللَّه عز وجل المتوكل، فقال: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا». [البخاري (٤٨٣٨)].

قال ابن حجر: سماه ربه المتوكل على اللَّه لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره. اهـ.

قلت: ولا يقدر على القيام بأعباء الدعوة والرسالة إلا من صدق في توكله على اللَّه واعتماده عليه، فقام النبي ﷺ بهذه الدعوة خير قيام بحسن توكله، فأعانه ربه ووفقه ومكن له حتى أقام الملة العوجاء، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة.

الأخذ بالأسباب من تمام التوكل

يعتقد البعض أن من تمام التوكل ترك الأسباب بالكلية، وهذا غير صحيح، بل إن فيه تعطيلاً لنصوص الشرع، وبطالة لا يرضاها الله عز وجل ولا رسوله ﷺ.

إن التوكل من أعظم الأسباب التي يحقق بها العبد مطلوبه من الله عز وجل، ولهذا فمَن أنكر الأسبابَ لم يستقم معه التوكل، ومن ترك الأسباب فقد سلك طريق العجز، والنبي ﷺ يقول: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز». رواه مسلم (٢٦٦٤).

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وترك تعلق القلب بها، ولكن يتعلق القلب بمسبب الأسباب ومدبر الأمر.

إن القعود عن الأسباب وترك السعي ليس من التوكل في شيء بل هو تواكل حذرنا منه النبي ﷺ، وقد خاف النبي ﷺ أن يتكل الناس على مجرد قول كلمة التوحيد دون حرص على العمل النافع، فقال لمعاذ بن جبل: «لا تبشرهم فيتكلوا». [متفق عليه].

ولما بعث النبي ﷺ أبا هريرة يبشر الناس من لقى منهم يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بالجنة، قال عمر بن الخطاب: لا تفعل، إني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، فقال النبي ﷺ: «فخلهم يعملون». [متفق عليه].

وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ أثنى على المتوكلين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ومدحهم بأنهم «لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». [متفق عليه]. أليست هذه دعوة لترك الرقى والتداوي وهما من أعظم الأسباب المعينة على الشفاء؟

والجواب أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة شرعًا مع حاجتهم إليها توكلاً على اللَّه تعالى، فإنهم لا يسترقون؛ أي: لا يطلبون من غيرهم الرقية، وإنما يطلبون الشفاء من اللَّه عز وجل مباشرة ويستعملون الرقى الشرعية الثابتة في آيات الكتاب وصحيح السنة، ولا يكتوون؛ لأن النبي ﷺ كان لا يحب الكي، وينهى عنه، ولا يتطيرون ولا يتعلقون بالأوهام معتقدين أن التدبير بيد الله عز وجل.

وسعي العبد إما أن يكون لجلب نفع مفقود، كسعيه في طلب الرزق، وسعيه في فعل الخيرات، وإما أن يكون لحفظ نفع موجود؛ كادخار القوت، وإما أن يكون لدفع ضرر لم ينزل؛ كدفع أثر البرد بارتداء الملابس الثقيلة، ودفع المرض بتجنب أسباب العدوى أو بالتطعيم ضده، أو بتعقيم الأدوات الطبية

وخــلافــه، وإمــا لإزالـة ضــرر قــد نـزل؛ كالتداوي من المرض.

والأسباب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : سبب مقطوع به بتقدير الله عز وجل، كالطعام الذي يدفع أثر الجوع، والزرع الذي يُرجى منه النماء، ومثل هذه الأسباب يجب الأخذ بها شرعًا، ولا يجوز لأحد أن يتركها بدعوى التوكل على الله.

القسم الثاني : سبب مظنون- ظني- يرجى من مباشرته تحقق المطلوب بتوفيق الله عز وجل، كالتداوي لدفع المرض وجلب العافية، فكم من مريض وصف له الدواء ولم يتم الشفاء، ولكن لا يجوز التداوي بمحرم كالخمر، ولا يستحب التداوي بمكروه؛ كالكي، وهذا القسم يجب على العبد أن يأخذ به أيضًا.

القسم الثالث : سبب وهمي يعتقد كثير من الناس أنه يجلب النفع ويدفع الضر، وهو في الحقيقة لا تأثير له، ولهذا نهى الشرع عنه كالتطير والتشاؤم، والذهاب للكاهن والعراف والاستسقاء بالأنواء والنجوم، وتعليق التمائم، وسؤال غير الله. وهذا لا يجوز للعبد أن يتعاطاه، وإن ثبت بالتجربة أنه يتحقق المطلوب به أحيانًا فهذا من الابتلاء والافتتان، نعوذ بالله من الخذلان، بل إن التوكل الحقيقي يكون بالإعراض عن هذا البلاء، ولهذا قال النبي ﷺ: «الطيرة شرك». قال ابن مسعود: وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل.

ومعنى كلام ابن مسعود أن الإنسان قد يجد في قلبه مكانًا للتطير، وذلك بتأثير البيئة أو العادة، ولكن العبد إذا حسن توكله على الله أذهب الله عنه كل أثر للتطير.

مجالات التوكل

التوكل في أمر الرزق :

لا شك أن أمر الرزق يشغل عامة الناس، وكذلك أمر الأجل، والمؤمن المتوكل على الله لا ينشغل كثيرًا بهما؛ لأنه مطمئن تمامًا إلى أن الرزق مقسوم، والأجل معلوم، فلا يملك أحد أن ينقص من رزقه، كما لا يملك أحد من الخلق أن يغير أو يقدم أجله، وهذا لا يعني أن يهمل المتوكل أمر السعي لطلب الرزق، ولكنه يسعى وهو مطمئن إلى أن أحدًا لا يأكل رزقه، ولا يقدم أجله، وأن ما أصابه من خير لا يمكن أن يخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولهذا فهو لا يقتل ولده من إملاق أو خشية إملاق؛ كما فعل أهل الجاهلية الأولى، ولا يمنع نسله ويجهض امرأته؛ كما يفعل أهل الجاهلية في العصر الحديث، وإنما يتعامل مع النسل على أنه رزق من عند الله، قد كفله الله وكفاه، ولكنه يأخذ بالأسباب لتحسين مستوى النسل، ورفع مستوى الفرد، وتعليمه وتثقيفه بما يحقق نفعه في الدنيا والآخرة. وهذه مسئولية الرجل في بيته وأسرته، ومسئولية المرأة في بيتها مع أولادها، ومسئولية المعلم مع تلامذته، ومسئولية الحاكم في المجتمع المسلم، كما قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» الحديث.

والمتوكل على الله في أمر الرزق لا يركن إلى الحرام، فيسعى إلى كل كسب طيب، ويبتعد عن سبل الكسب الخبيث، وقد علم أن رزقه لن يخطئه أبدًا، فلماذا يحرص على الحرام ويستكثر منه طالما أن الرزاق قد كفل له رزقه، وهو كذلك لا ينشغل عن آخرته بسعيه لأجل دنياه، بل يحرص على الخيرات، ويسابق إلى الطاعات؛ لأنه يتطلع إلى الحظ الأوفر، والنصيب الأعظم من الرزق المقسوم؛ ألا وهو الجنة، فيطمع في الفردوس الأعلى، ويسأل ربه التوفيق والمعونة؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري (٢٧٦٠)].

لقد وثق المسلمون الأوائل بوعد الله، واطمأنوا إلى كفايته، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله، شوقًا إلى الجنة، وخوفًا من

النار، حتى جاء الصديق في غزوة العسرة بماله كله، فقال له النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. [متفق عليه].

ورغم أهمية الرزق فهو ليس ما يطلبه الناس من أمر الدنيا فحسب، فالرزق أشمل وأعم من المال أو المتاع، ولهذا يحرص المؤمن المتوكل على طلب الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعينه على أمري الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة». [رواه مسلم]. وقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». [متفق عليه].

وكذلك يحرص المؤمن على طلب الذُرية الصالحة التي تقر بها عينه وترثه من بعده في عمارة الأرض، وعبادة الله سبحانه، فيلحقه من عملها ودعائها بعد موته الخير الكثير، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ومن فضل الله ورحمته أن جعل عمل الذرية الصالح ودعاءها في ميزان الآباء، وألحق الأبناء بالآباء، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». [رواه مسلم].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وأفضل ما يحرص عليه المؤمن بعد الإيمان واليقين أن يرزقه الله العافية في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أيها الناس، سلوا الله العافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من العافية». [رواه أحمد والترمذي].

التوكل على الله في أمر الدين

إن أعظم غاية ومقصود عند المؤمن أن ينال رضوان الله والجنة، ولهذا فهو يستعين بالله ويتوكل عليه ليسلك سبيل الاستقامة والنجاة ويثبت عليه حتى يلقى ربه ومولاه، فيكون من الذين تتلقاهم الملائكة بالبشرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وكذلك يتوكل المؤمن على ربه في إعلاء كلمته وتبليغ دعوته، وجهاد أعدائه ونصرة دينه، وهذا هو توكل الأنبياء وورثة الأنبياء، وإن عاندهم المعاندون، ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، ولهذا ينصرهم الله عز وجل ويمكن لهم ويكفيهم ما أهمهم، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

مواطن التوكل

● عند طلب النصر؛ لقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

● وكذلك عند جمع الأعداء لاستئصال شأفة المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣].

● وكذلك عند اليأس من هداية الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٨].

● وعند إعراض الخلق وتوليهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

● وعند إرادة السلم وكف القتال؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

● وعند خداع الكفار للمسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

● كذلك إذا حُم القضاء ونزل البلاء؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

● وإذا أردت محبة الله عز وجل لك؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

● وكذلك إذا شاورت وعزمت فتوكل على الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وإذا خرجت من بيتك؛ لقوله ﷺ: «بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله». [صحيح. رواه أبو داود والنسائي عن أنس].

● إذا كنت في كرب وضيق؛ لقوله ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار». [البخاري (٤٥٦٣)].

● عند التشاؤم والتطير؛ لقوله ﷺ: «الطيرة شرك». وقول ابن مسعود: ولكن الله يذهبه بالتوكل.

● عند قرب القيامة وظهور أماراتها؛ لقوله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ». [رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح بطرقه]. فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». [الترمذي، وحسنه].

● عند السعي في طلب الرزق؛ لقوله ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وأحمد (١\٣٠)، وهو صحيح].

● إذا أردت دخول الجنة بغير حساب فعليك بالتوكل؛ لقوله ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». [متفق عليه].

● عند النوم؛ لقوله ﷺ: «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك...» الحديث.

● عند الاستخارة؛ لقوله ﷺ: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم....» الحديث.

والتوكل على الله أشمل وأعم من أن نحيط بمجالاته ومواطنه، فهو يعم جميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية.

نسأل الله أن يعيننا على طاعته وذكره وشكره وحسن عبادته، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

○○○

الحلقة الأخيرة

سورة الحديد

بقلم الدكتور عبد العظيم بدوي

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٥- ٢٩].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الساطعات، والبراهين الواضحات، الدالات على صدقهم فيما ادّعوه من النبوة والرسالة، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليقيموا العدل، ويجتنبوا الظلم، وأعدل العدل على الإطلاق التوحيد، وأظلم الظلم الشرك، ولكنّ كثيرًا من الناس لا يستجيبون للأنبياء، ولا يتبعونهم على ما أنزل اللَّه عليهم من الكتاب والميزان، فهم بحاجة إلى جهاد، ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، فالذي لا يتبع بالكتاب يتبع بالسيف، ولذلك مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى ما أنزل الله عليه من الكتاب، فما آمن معه إلا قليل، فلما أذن الله له بالهجرة، وأسس قواعد الدولة الإسلامية في المدينة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فجاهد رسولُ الله ﷺ والمؤمنون معه في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فدخل الناس في

دين الله أفواجًا، وصدق الله العظيم: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، وذلك باستخدامه في الأسلحة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، ومنافع الحديد أشهر من أن تذكر، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾، أي: ينصر دينه ورسله فيما جاءت به، وليس الله بحاجة إلى من ينصره، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وهو الذي ينصر الناس، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ولكن أراد الله أن يمتحن عباده، مَنْ منهم يقوم لنصرة دينه فينصره الله، ويمكّن له في الأرض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم﴾ أي: من ذريتهما ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، وهذه حكمة الله وإرادته، أن يكون المؤمنون قلّة، والكافرون كثرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ ومنهم من سمّى الله لنا، ومنهم من لم يسمّ، ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾، فقد جعل الله في قلوب أتباع عيسى رأفة ورحمة، وأما هذه الرهبانية فبدعة ابتدعوها، ما كتبها الله عليهم، وإنما هم أحدثوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، ومع ذلك ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، فذمهم الله تعالى على الابتداع، وعدم التزام ما ألزموا أنفسهم به، قال تعالى: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وإذا علمنا أن الله تعالى ذمّ النصارى على ما ابتدعوه، فمن الواجب أن نعرّف البدعة، ونحذّر المؤمنين منها، حتى لا ينالهم ما نال من قبلهم من الذم، فنقول:

البدعة لغة : كل ما أحدث من غير مثال سابق، قال تعالى عن نفسه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: هو الذي خلقها لأول مرة من غير مثال يحتذي به.

وشرعًا: إحداث طريقة في الدين تضاهي الطريقة الشرعية، ويرادُ بها التقربَ إلى الله تعالى، ولقد كان رسول الله ﷺ يحثّ على التمسك بالسنة، ويحذّر من البدعة، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظةُ مودّع فأوصنا، فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». [صحيح. رواه أحمد وأبو داود وغيرهما].

وكان ﷺ يفتتح خطبه ودروسه ومواعظه بخطبة الحاجة، وكان يقول فيها: «أما بعد: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها». [صحيح. رواه مسلم (٤٦٧\٥٩٢\١)].

فعليكم بالسنة، وإياكم والبدعة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا

تبتدعوا فقد كفيتم». الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة؛ لأن عمل المبتدع مردود عليه؛ لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [متفق عليه]. و«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [رواه مسلم]. والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]. قال العلماء: لا يكون العمل مقبولاً حتى يتوفر فيه شرطان: الأول: الإخلاص لله. والثاني: الموافقة لهدي رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، ولم يقل: أيكم أكثر عملاً؛ لأن العبرة ليست بكثرة العمل، وإنما العبرة بإخلاصه لله، وموافقته لهدي رسول الله ﷺ.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يكون العمل مقبولاً حتى يكون خالصًا وصوابًا، فإذا كان خالصًا وليس بصواب، لم يُقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، قالوا: يا أبا علي، فما الخالص وما الصواب؟ قال: الخالص ما ابْتُغِيَ به وجه الله، والصوابُ ما وافق هدي رسول الله ﷺ. وقد نطق بهذين الشرطين كتابُ ربنا وسنة نبيّنا ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالعمل الصالح هو الموافق للسنة، ﴿وَلاَ يُشْرِكْ...﴾ هذا هو الإخلاص، وقال النبي ﷺ في الشرط الأول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». [متفق عليه]. وقال في الشرط الثاني: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [رواه مسلم]. فالبدعة تبطل العمل، والبدعة تحجب التوبة عن المبتدع، كما قال ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل مبتدع حتى يدع بدعته». [أخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٠) وصححه].

والبدعة تحول بين صاحبها وبين ورود حوض النبي ﷺ، كما قال ﷺ: «ترد عليَّ أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه، كما يذود الرجلُ إبل الرجل عن إبله». قالوا: يا نبي الله، تعرفنا؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون غرًا محجلين من آثار الوضوء، وليُصدن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب، هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟». لهذا كله كانت البدعةُ أحبَّ إلى الشيطان من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتاب منها، والمعصية يُتاب منها. والبدعةُ أحبُّ إلى الشيطان من الربا والزنا وشرب الخمر، ونحو ذلك؛ لأن المسلم حين يعصي يعلم أنه يفعل حرامًا، فهو معترف بخطئه، وإن لم يتب، وربما تاب، وهذا معروف، أما المبتدع فهو لا يرى نفسه على ضلالة، بل يعتقد أنه على هدى، ولذا لا يحدِّث نفسه بالتوبة أبدًا، والذي لا يعتقد أنه مذنب، كيف يتوب!

فيا إخوة الإسلام: إياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ

محدثة بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار، وأوصيكم أن تقرءوا وتتعلموا، وأن تخلِّصوا عقائدكم من شوائب الشرك، وأن تخلِّصوا عبادتكم من شوائب البدعة، فالأعمال لا تقبل إلا من صاحب عقيدة سليمة، ولا تقبل من صاحب العقيدة السليمة حتى تكون موافقة لهدي رسول الله ﷺ، ولهذا قال الإمام الجنيد رحمه الله: «إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: وعزتي وجلالي، لو أتوني من كل طريق، واستفتحوني من كل باب، ما فتحتُ لهم حتى يدخلوا خلفك». [«طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٧)].

فاقرءوا إخوة الإسلام وتعلّموا، اقرءوا هذه الكتب: «الاعتصام» للإمام الشاطبي، «تلبيس إبليس» لابن الجوزي، «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ، «السنن والمبتدعات» للشيخ محمد عبدالسلام، فلا بد للإنسان أن يقرأ، وأن يتعرف على ما وقع فيه من البدع ليتخلص منها، حتى يرد حوض النبي ﷺ، فيشرب منه شربةً هنيئةً مريئةً لا يظمأ بعدها أبدًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يتقوه ويؤمنوا برسوله حتى يؤتيهم أجرهم مرتين، ويجعل لهم نورًا يمشون به في الناس؛ يميزون به الحق من الباطل، ويغفر لهم ذنوبهم، ففضّل الله مؤمني هذه الأمة على مؤمني أهل الكتاب، فإن الله قال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥١- ٥٤] ففضّل الله مؤمني هذه الأمة فآتاهم كفلين من رحمته، وزادهم: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، فنور الله سببه تقوى القلوب، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ولهذا قال: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، ولهذا قال النبي ﷺ: «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمّالاً، فقال: مَن يعمل لي مِنْ صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: مَنْ يعمل لي مِنْ صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: مَنْ يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قراطين قراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت النصارى واليهود، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء». [البخاري (٥٧٧) (٢٢٦٩)].

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء الله تعالى حول تفسير سورة «المجادلة». والله الموفق.

○○○

تحذير للعرب!!

بقلم الرئيس العام

أخرج البخاري عن الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان حدثتها عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ [دخل عليها فزعًا يقول]. وفي رواية: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها- وعقد سفيان تسعين أو مائة- فقالت زينب: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

مواضع الحديث

- الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة: يأجوج ومأجوج وكتاب المناقب باب علامات النبوة، وكتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب».

وأخرجه مسلم في كتاب الفتن، وفي بعض رواياته عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش.

لطيفة

قال ابن حجر: قال سفيان: حفظت عن الزهري في هذا الحديث أربع نسوة: زينب بنت أم سلمة عن حبيبة وهما ربيبتا النبي ﷺ عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش وهما زوجتا النبي ﷺ، والنسوة الأربع رأين النبي ﷺ.

وقال: وقد جمع الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي جزءًا في الأحاديث المسلسلة بأربعة من الصحابة وجملة ما فيه أربعة أحاديث، وجمع ذلك بعده الحافظ عبد القادر الرهاوي ثم الحافظ يوسف بن خليل فزاد عليه قدرها وزادوا حديثًا خماسيًا فصارت تسعة وأصحها حديثنا هذا، ثم حديث عمر، وهو عند البخاري برقم (٧١٦٣) في كتاب الأحكام باب رزق الحاكم والعاملين عليها.

وجاءت أحاديث كثيرة في هذا المعنى، نذكر منها ما يلي:

١- أخرج البخاري عن الزهري عن هند بنت الحارث الغراسية أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات- يريد أزواجه- حتى يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب العلم والعظة بالليل، وفي أبواب التهجد باب التحريض على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، وفي كتاب المناقب باب علامات النبوة، وفي كتاب اللباس، باب: ما كان

النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط، وفي كتاب الأدب باب التكبير والتسبيح عند التعجب، وفي كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

٢- أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا»، وعقد بيده تسعين.

وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج، وفي كتاب الفتن باب يأجوج ومأجوج.

٣- أخرج البخاري عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر».

وهذا الحديث أخرجه البخاري في أبواب فضائل المدينة باب آطام المدينة، وفي كتاب المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، وفي كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، وفي كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب». وأخرجه مسلم في كتاب الفتن.

قال ابن حجر: وأم سلمة هي أم المؤمنين، وكانت تلك الليلة ليلتها.

أطم وجمعه آطام: وهي الحصون المبنية بالحجارة.

وفي هذه الأحاديث معان هامة نحاول- مستعينين بالله- بيان بعضها:

١- هدي النبي ﷺ في النوم، حيث ورد في حديث زينب وحديث أم سلمة رضي الله عنها قيامه من النوم فزعًا وقيامه محمر الوجه.

٢- طريقة العرب في العدد والحساب، وهي طريقة دقيقة ذكية نذكرها لنبين أن أهل الجاهلية كانت لهم مهارات قد اندثرت اليوم، منها طريقتهم في العد بالأصابع إشارة، ويحتاج فهم هذه الطريقة من يقرأ بعض الأحاديث النبوية.

٣- عناية النبي ﷺ بالأمة، فقد استيقظ من النوم مهمومًا لما يصيب الأمة في مستقبل أيامها، فقام محمر الوجه فزعًا مسبحًا لله.

٤- تحذير العامة وتعريفهم دفع البلاء بالدعاء والطاعة.

٥- دعوة الخاصة للطاعة بتحذير العرب لأنهم رداء الإسلام

قوله ﷺ: «سبحان الله، ماذا أنزل». هذا أسلوب تعجب من النبي ﷺ وتعظيم عبر فيه عن كثرة الرحمة النازلة من عنده سبحانه، ففتح الله من خزائنها وعن كثرة ما نزل من الفتن وهو من الوحي الذي رآه في نومه ورآه في يقظته ولم يره من أصحابه من كان معه وذلك من أمارات نبوته ﷺ.

وقوله ﷺ: «من يوقظ صواحب الحجر»: هن زوجات النبي ﷺ، يبدأ بنفسه ثم من يعول في عمل الصالحات يستدفعون بها الفتن، فإذا كان النبي ﷺ يخاف وقوع الفتن في زمانه، فنحن أولى بالخوف في زماننا هذا، وهذا دليل على دفع الفتن بالطاعات والصالحات، وأنه حال الفتنة وخوفها يشرع الإكثار من قيام الليل، وأن يستيقظ الرجل ويوقظ أهله، فالإسراع للصلاة إذا وقع أمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

يقول ابن حجر: وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة، فإذا فتح من ردمهم ذلك القدر في زمنه ﷺ لم يزل الفتح يتسع على مر الأوقات. فكيف اليوم!! نسأل الله السلامة.

قوله ﷺ: «رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»: يدل على أن المتصف بذلك كثير. قال ابن حجر في معانيها:

١- كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

٢- كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاءً على ذلك.

٣- كاسية من نعم الله، عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب.

٤- كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها، فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة.

٥- كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح، عارية في الآخرة من العمل، فلا ينفعها صلاح زوجها، كما قال تعالى: ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾.

قال ابن حجر: إنما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام، وللانذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.

ويقول ابن خلدون في «مقدمته»: إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين في الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى ولسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المنهي لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة، كما ورد في الحديث. (انتهى).

فكأن قول النبي ﷺ: «ويل للعرب» لأنهم يكونون أكثر الأمم تأثرًا بتلك الفتن، فهذا يدعوهم أن يكونوا أكثر الناس صلاحًا وعلمًا وتعبدًا حتى يكونوا أبعد الناس عن الفتن، وذلك بلزوم الشرع علمًا وعملاً ودعوة تعبدًا وخلقًا وسلوكًا.

طريقة العرب في عد الحساب

جاء في الحديث ذكر «عقد تسعين»، وذكر «عقد تسعين أو مائة»، ولا نظائر أخرى كما جاء في حديث مسلم وغيره: «كان إذا قعد للتشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على اليمين وعقد ثلاثًا وخمسين، وأشار بإصبعه السبابة». وهذا من طريقة العرب في العدد والحساب، وهي طريقة تواطأت عليها العرب في عقود الحساب، وهي أنواع من الآحاد فعلى أصابع اليد اليمنى الثلاثة الخنصر والبنصر والوسطى، وأما العشرات فعلى السبابة والإبهام من اليد اليمنى، وأما اليد اليسرى فللمئين والألوف، أما الآحاد فللواحد عقد الخنصر إلى أقرب ما يليه من باطن الكف، والاثنين عقد البنصر معها كذلك، وللثلاثة عقد الوسطى معها كذلك، وللأربعة حل الخنصر، وللخمسة حل البنصر معها دون الوسطى، وللستة عقد البنصر وحل جميع الأنامل، وللسبعة بسط الخنصر إلى أصل الإبهام مما يلي الكف، وللثمانية بسط البنصر فوقها كذلك، وللتسعة بسط الوسطى فوقها كذلك، وأما العشرات فلها الإبهام والسبابة فللعشرة الأولى عقد رأس الإبهام على طرف السبابة، وللعشرين إدخال الإبهام بين السبابة والوسطى، وللثلاثين عقد رأس السبابة على رأس الإبهام عكس العشرة، وللأربعين تركيب الإبهام على العقدة الوسطى من السبابة، وعطف الإبهام على أصلها، وللخمسين عطف الإبهام إلى أصلها وللستين تركيب السبابة على ظهر الإبهام عكس الأربعين، وللسبعين إلقاء رأس الإبهام على العقد الأوسط من السبابة ورد طرف السبابة إلى الإبهام، وللثمانين رد طرف السبابة إلى أصلها وبسط الإبهام على جنب السبابة من ناحية الإبهام وللتسعين عطف السبابة إلى أصل الإبهام وضمها بالإبهام، وأما المئين فكالآحاد إلى تسعمائة في اليد اليسرى والألوف كالعشرات في اليسرى.

وقد جاء في الحديث سؤال زينب بنت جحش: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: «نعم، إذا كثر الخبث». ولمعرفة معنى الخبث وكثرته

نستعرض لفظة «الخبث» ومعانيها في مواضعها في القرآن، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١٦٧]: أي لا تعدلوا عن الحلال من المال وتقصدوا الحرام منه، ومنه أن تختار الرديء من المال الذي لا تقبله في تعاملك، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، فكانوا في الجاهلية يأخذون الطيب من مال اليتيم ويضعون مكانه الرديء، وأما قوله تعالى: ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]: أي اللواط، وقوله سبحانه: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار. وقيل: المراد الحلال والحرام، وقيل: المؤمن طيب والكافر خبيث، وقيل: المراد العاصي والطائع، وقيل: الرديء والجيد، والأولى أن الاعتبار بعموم اللفظ فيشمل هذه المذكورات وغيرها مما يتصف بوصف الخبيث والطيب من الأشخاص والأقوال والأعمال، فالخبيث لا يساوي الطيب بحال من الأحوال، وقوله: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ليظهر المؤمن الصابر من المنافق الفاجر.

﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧]: أهل السعادة من أهل الشقاوة، وذلك يوم القيامة، وقد يراد يميز العمل الصالح من الدنيا ثم تؤخذ الدنيا بأسرها فتلقى في جهنم.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦] كلمة الكفر أو الشرك أو ما هو أعم من ذلك من الأقوال، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ضرب المثل للكافر كالبلد السبخة المالحة لا تخرج منها البركة، ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كالميتة والخنزير والخمر وما شابهها مما كانوا يستحلونه في الجاهلية.

وقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ معناه: الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال والنساء، والرجال الخبيثون للكلمات الخبيثات أي لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء. وقيل: الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيث من الرجال والنساء، فأما الطاهرون والطاهرات فلا يلصق بهم السب، وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذلك الطيبات للطيبين.

والخبيث ضد الطيب من الرزق والولد والناس وفي الفعل من الفجور وغيره مما خالف الطيب من الأفعال المذمومة والخصال الرديئة، الخُبْثُ الكفر، والخبائث الشياطين، وجاء الخُبث بمعنى الشر. وقال أبو عبيد عن أبي الهيثم الخبث جمع الخبيث وهو الشيطان الذكر والخبائث جمع للخبيثة من الشياطين. قال أبو منصور: وهذا عندي أشبه بالصواب.

والحرام البحت يسمى: خبيثًا مثل الزنا والمال الحرام والدم وما أشبهها مما حرمه الله تعالى، ويقال في الشيء الكريه الطعم والرائحة خبيث مثل الثوم والبصل والكرات، ففي الحديث: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا». وقال تعالى: ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، فالطيبات ما كانت العرب تستطيبه من المآكل في الجاهلية ما لم ينزل فيه تحريم مثل الأزواج الثمانية ولحوم الوحش من الظباء وغيرها والخبائث ما كانت تستقذره ولا تأكله مثل الأفاعي والعقارب والبرص والخنافس والفأر.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾. قال ابن الأعرابي: أصل الخبث في

كلام العرب: المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار.

وفي الحديث نهي عن دواء خبيث. قال ابن الأثير: هو من جهتين إحداهما النجاسة وهو الحرام كالخمر والأرواث والأبوال كلها نجسة خبيثة وتناولها حرام إلا ما خصه بالسنة من أبوال الإبل عند بعضهم وروث ما يؤكل لحمه عند آخرين.

وليس أكل البصل والثوم من الأعذار المذكورة في الانقطاع عن المساجد وإنما أمرهم بالاعتزال عقوبة ونكالاً لأنه كان يتأذى بريحها.

وفي الحديث مهر البغي خبيث وثمن الكلب خبيث وكسب الحجام خبيث، فأما مهر البغي وثمن الكلب فهو حرام؛ لأن الكلب نجس والزنا حرام وبذل المعاوضة عليه وأخذه حرام، وأما كسب الحجام ففيه الكراهة؛ لأن الحجامة مباحة.

والخبث: البول والغائط، ففي الحديث لا يصلي الرجل وهو يدافع الأخبثين، والخبث النجس: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا». وقوله ﷺ: «إذا كثر الخبث» أراد الفسوق والفجور، وفي حديث سعد بن عبادة أنه أتى النبي ﷺ برجل سقيم وجد مع أمةٍ يخبث بها: أي يزني.

ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن خمر والعاق. والديوث: الذي يقر في أهله الخبث، يعني الزنا وما قاربه من الأفعال الحرام.

وبعد استعراض كل ما سبق من معنى «الخبث»، نعود إلى قول النبي ﷺ لما سألته أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها قائلة: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»، نخلص من ذلك بأن كثرة الخبث مهلكة للأمة، وأن رأس الخبث الشرك وكلمة الكفر، ومنها بناء المساجد على القبور والاستغاثة بغير الله تعالى ودعاء الأموات، وكثرة التماثيل والصور وتعليق التمائم والأحجبة وانتشار العرافين بكتابة أبواب في الصحف عن الحظ في الأيام والشهور والسنوات، ومن موالاة الكافرين وتعظيم أعيادهم وهيئاتهم وامتهان الهيئة التي حث عليها الإسلام في مظهر المسلم والمسلمة وانتشاره في علية القوم ونسائهم حتى صار التبرج عادة والحجاب شاذًا، وانتشرت العلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء، وفشى اللواط والسحاق تقليدًا للغرب الكافر.

ومن ذلك كثرة الخبث في المال والتكسب منه، كجعل الخلاعة والمجون مهنة ولها بيوت وصحف وفنون، وانتشار دور وقرى سياحية لذلك، والتكسب من ثياب التبرج والتخنث في الرجال والترجل في النساء، كل ذلك من الخبث، ومنه التعامل بالربا والغش في الأسواق والجري وراء المال من أي مصدر كان بمسابقات غير مشروعة.

ومن ذلك كثرة الخبث في اللافتات والإعلانات والأسماء حتى صارت عادية في كلام الناس كالإعلان عن الخمور والأفلام الهابطة ودخول ذلك إلى البيوت وتسربه إلى دور العلم.

إذا كثر الخبث هان الناس على الله تعالى فأوقع الوهن في قلوبهم وهانوا على أعدائهم فاستلبوا أرضهم واستحلوا دماءهم وأموالهم لما غيروا من أنفسهم غير الله تعالى ما بهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فلا رجوع إلى عزهم الأول مهما عقدت المؤتمرات وحشدت المظاهرات وكثرت الأعداد والأموال، فلا يرجع عزهم إلا أن يرجعوا عن خبثهم، فلا تعجبك كثرة الخبيث، ولا يخدعك مظهره، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

والله من وراء القصد.

إن الدين عند الله الإسلام

بقلم:

د. محمد عبد الله إبراهيم

قرأت بالأمس القريب بجريدة «العالم الإسلامي» السعودية العدد (١٧٢٣- الجمعة غرة رمضان ١٤٢٢هـ- ١٦ نوفمبر ٢٠٠١م) أخبار أعمال «الندوة العالمية للحوار» بالقاهرة. وفي ختام اجتماعاتها بالقاهرة على مدى يومين بمشاركة رؤساء وممثلي نحو خمسين هيئة ومنظمة عالمية، أصر د. طارق متري ممثل المجلس العالمي للكنائس في مؤتمر الحوار بين الأديان على ضرورة حذف عبارة الأديان السماوية والربانية، حيث إن وصف الإسلام كدين سماوي ورباني لا يزال محل خلاف لم يحسم بعد، ووافقه على ذلك خالد أكاش نائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان!!

وإذا كان رجال الدين المسيحي لا يعترفون بأن الإسلام رسالة جاءت من عند الله، فماذا ننتظر من العوام من المسيحيين، وإذا لم يقر رجال الدين المسيحي والفاتيكان بأن الإسلام دين رباني فلا داعي للقاء والحوار حتى نكون جادين وواضحين وعلى بينة من أمرنا.

وقال شيخ الأزهر د. طنطاوي: إن الأديان السماوية جاءت من عند الله تبارك وتعالى، وأننا جميعًا مسلمين ومسيحيين نتوجه إلى الله تبارك وتعالى وتحكمنا الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ونحن نطلق عليهم أهل الكتاب السماوي كما نحن أتباع دين سماوي لا يصلح أن يعترض رجل دين يفهم جيدًا حقيقة الأديان السماوية الأخرى على ذلك، وكما ذكرت الأديان عندهم في الإنجيل والتوراة لا سيما الإسلام ورسول الإسلام(١). اهـ.

ونقول للدكتور طارق متري ممثل مجلس الكنائس العالمي، ولنائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان: إن الإسلام هو دين الله الذي لا دين له سواه، ولقد تكفل الله سبحانه وتعالى بنصره وتمكينه وإظهاره على الدين كله، لكن أي دين هو ذلك الإسلام، وهل هناك ديانات أخرى تزاحمه في علاقتها بالله؟ أقول في الإجابة: إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل ديانات مختلفة، وإنما أنزل على عباده المرسلين دينًا واحدًا هو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ولقد جاء بهذا الدين الواحد جميع رسل الله تبارك وتعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ليس هناك أديان سماوية يا شيخ الأزهر!!

الإسلام دين الأنبياء جميعًا!!

جاء به إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ. وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨- ١٣٢].

وجاء به نوح عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وجاء به يعقوب عليه السلام. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وجاء به لوط عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وجاء به يوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وجاء به موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وهو دين قوم موسى من بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وهو دين السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ. قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ. وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠- ١٢٦].

وهو دين أنبياء بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهو دين سليمان عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١].

وهو دين بلقيس رضوان الله عليها. قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهو دين المسيح عليه السلام وحوارييه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

فالإسلام هو دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، والمسيح عيسى ابن مريم هو عبدالله ورسوله، فالدين ينسب إلى من أنزله، ولا ينسب إلى من بلَّغه.

يا ممثل المجلس العالمي للكنائس، يا نائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان: ليست هناك أديان إبراهيمية ونوحية ويعقوبية ولوطية ويوسفية وموسية ومسيحية، وإنما: الإسلام هو دين الله تعالى، وهو دين المهتدين من الجن. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

ثم هو دين الرسول الخاتم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [فاطر: ٦٦].

بل إن القرآن الكريم ليقرر في وضوح كامل أن الإسلام دين أهل السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وإلى هذا الدين وحده وجه الرسول الخاتم ﷺ رسله ورسائله إلى الملوك وعظماء الملل وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه.

فلا يصح يا شيخ الأزهر أن تقول: «أديان سماوية»، فليست هناك أديان سماوية، وإنما الإسلام دين الأنبياء جميعًا، قولوا للفاتيكان: الإسلام دين عيسى ابن مريم عليه السلام، قولوا لهم: المسيح ليس إلهًا، أو ابن إله. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١- ٤].

قولوا لهم: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

والله من وراء القصد.

الهوامش:

(١) الصحيح أن يقال: الرسالات السماوية، أو الكتب السماوية، أمَّا الدين عند الله فهو واحد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾، جاء به كل الرسل، وتحدثت عنه كل الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. ولا نقول: إننا جميعًا مسلمين ومسيحيين نتوجه إلى الله تبارك وتعالى، فالله غني عمن أشرك معه غيره. [التحرير].

كلمة التحرير

بقلم: رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

المؤامرة الكبرى... وسياسة تجفيف المنابع!!

إن الناظر لأحوال الأمة الإسلامية يجد أمة قد أُهدرت دماؤها، وخربت ديارها، وأصبح المسلم الماسك على دينه كالقابض على الجمر، بل أصبح يُنظر إليه نظرة استخفاف واستهانة، وأصبحت الأصابع تشير إلى المسلمين على أنهم رمزٌ للإرهاب، وهم منه براء، بل إن ما يحدث للمسلمين في العالم كله لهو الإرهاب، الإرهاب الدولي المنظم بقيادة أمريكا التي استباحت الحرمات، وخرجت بعد أحداث سبتمبر كالثور الهائج، لا يعرفه سوى التخريب والانتقام، فراحت تدبر المؤامرات، وتعقد الاتفاقيات وتجهز الجيوش، وتحشد السلاح، تضرب وتهدد، وتتآمر وتتوعد الجميع بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وتعطي التأييد العلني للسفاح شارون- النائب عن بوش- في الإجهاز على الفلسطينيين، فيوزعان معًا التهم على الدول والجماعات، والجمعيات متهمين إياهم بالإرهاب، فكل من لم يقف مع أمريكا ويؤيدها وينفذ أوامرها يوضع في قائمة الإرهابيين!! ولن ينال رضاها حتى يتبع هواها ولا حول ولا قوة إلا باللَّه!!

أليس هذا ما قاله الله عز وجل: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»؟ ثم وتمارس الضغوط في كل مكان لمنع بناء المساجد والتدخل في المناهج الدراسية للمدارس الدينية، بل الضغط على الحكومات العربية والإسلامية للإجهاز على كل ذلك وتجفيفه، وإلا اتهم المعارض والممتنع بالإرهاب، وعليه أن ينتظر دوره في أخذ نصيبه من الضربات العسكرية، وها هي أمريكا بعد أن أخذت كل ما تريده من باكستان، تبدأ في المرحلة الثانية بمحاولة الإجهاز عليها بإشعال الحرب بينها وبين الهند، والمؤامرة كبيرة .

على المسلمين دائماً أن يستيقظوا؛ فإسرائيل هي المستفيد الأول من كل ما يجري من أحداث في العالم!!

مراجعة الحسابات!!

الولايات المتحدة مضطرة لمراجعة بعض سياساتها الخارجية القديمة، فإن التحالف الذي تم حاليًا هو تحالف مرحلي، وهم الآن في نهاية المرحلة الأولى لهذا التحالف، وقد بدأت السياسة الأمريكية تغير من لهجتها وتغير من حديثها، وتعتبر أنها حققت إنجازًا في أفغانستان، وأن التحالف مع العالم العربي والإسلامي لم يعد مهمًا، لأن العالم العربي والإسلامي لم يتمكن من أن يميز بين المرحلة الأولى والثانية، وأن يربط بين مصالحه، وأن يتحدث بلغة واحدة وصحيحة مع العالم الغربي، فهو قد خسر في المرحلة الأولى، ومرشح أن يخسر في المرحلة الثانية، وسوف تصبح إسرائيل هي المستفيد الأساسي، وربما تبرز الهند والأمور قد تطول في باكستان؛ لأن القضية في المرحلة القادمة ستكون هي قضية المدارس الدينية والفكرية والسياسية، والأنظمة التي أنتجت هذه الظواهر، وسوف يكون الضغط على باكستان كبيرًا جدًا، وقد تدخل الهند في هذه المرحلة لمحاولة تصفية القضية الكشميرية، وربما لمحاولة ضرب المفاعل النووي الباكستاني أو البنية النووية الباكستانية!!

مكر أمريكي جديد بعبادة المسلمين!!

وعلى الجانب الآخر واستمرارًا لسياسة ممارسة البلطجة الأمريكية وتماديًا في الحملة الصليبية التي يمارسها الرئيس الأمريكي، معتقدًا أن التربية الإسلامية يجب أن تتوقف، وأن تلغي مادة الدين الإسلامي من المدارس، بل إلغاء المدارس الإسلامية من العالم كله، وحذف آيات من القرآن الكريم والتي يراها تحض على كرامة المسلم، وبناءً على دعوة «بوش» قامت إسرائيل بالفعل بحذف الكثير من آيات القرآن الكريم، وطبعت الآلاف منه ووزعته على جميع أنحاء العالم، وخاصة الدول الإسلامية غير الناطقة بالعربية!!

والحملة الإعلامية الأمريكية ضد الإسلام محورها أن الإرهاب مرادف للإسلام، وقد أعلنت بعض وكالات الأنباء أن الرئيس الأمريكي قد بعث برسائل شخصية لبعض رجال الدين ووزارات الأوقاف في العالم الإسلامي، يطالبهم بالاستجابة لمفهومه للدين وإلغاء الآيات والأحاديث التي يراها غير ملائمة.

المؤامرة كبيرة!!

لا بد وأن يدرك العالم الإسلامي أن المؤامرة كبيرة، وأن

الإسلام في نظر أمريكا؛ كلمة مرادفة للإرهاب، فما مرادف أمريكا في نظر المسلمين؟!

ألاعيب جورج بوش وعصابته من اليهود تستهدف القضاء على ما تبقى من قوة للعالم الإسلامي، وإذا كانت قوتهم في ظل التخاذل الإسلامي قادرة على أن تنال من الأوطان والشعوب، فإننا على يقين أن نشوة الانتصار الزائف سوف تتبدد سريعًا، وأن لغة الكاوبوي الأمريكي لن تبقى مسيطرة إلى الأبد.

ولا نرى الآن من أصحاب النفس القصير إلا استسلامًا للأمر الواقع، والتسليم لسيناريوهات أعداء الله، وهو ما يعني سحق عظام الأمة، ووصم شرفائها بالإرهاب، وإهدار حقوقها، وإهانة عقيدتها، والاعتداء على حرماتها دون أن يكون لنا الحق في أن نئن أو نشتكي، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم!!

من هنا راحت أمريكا تستخدم لغة البلطجة تقتل الآمنين بقنابل محرمة، وتجرب فينا أسلحتها الثقيلة وصواريخها الفتاكة، تقضي على الأخضر واليابس، تقتل حتى أنصارها دون كلمة اعتذار، تلفق الاتهامات، وتصادر أموال الجمعيات الخيرية، وتصف كل ما هو إسلامي بالإرهاب، أصبح العرب والمسلمون هدفها المباشر، وحملتها المسمومة ضد مصر والسعودية!! وتوجيه الاتهامات الظالمة إلى البلدين عن طريق الصهاينة في الإدارة الأمريكية ووسائل الإعلام على السواء!!

وخير شاهد على ذلك هو العدد الأخير من مجلة «نيوزويك» الأمريكية والتي شنت هجومًا شرسًا على مواقف الرئيس المصري، تطالبه بممارسة الضغط على الصحف المصرية حتى تتوقف عن انتقاد السياسة الأمريكية، وراحت «نيوزويك» تتهم السعودية في وقاحة بأنها تُصدر التطرف الإسلامي إلى الخارج، وتطالبها بتقديم نموذج ديني يتماشى مع المطالب الأمريكية وممارسة القهر والضغوط على رجال الدين والعلماء.

ولم تنس الـ «نيوزويك» أن تطالب قطر بالتدخل في شئون قناة الجزيرة وضبط إيقاعها، والتدخل لضمان ظهور رجال يتماشون مع سياستها ويواكبون خطواتها ويهللون لمؤامراتها، وما نشرته الـ «نيوزويك» وغيرها من وسائل الإعلام التي تسطير عليها الصهيونية الأمريكية لهو تعبير مكشوف عن توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي والإسلامي!! وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

سياسة الخنوع!!

ومن هذا المنطلق قام وفد أمريكي رفيع المستوى بزيارة

المفاعلات النووية في ديار المسلمين إزعاج لليهود والأمريكان ولكن وجودها عندهم عدل وأمان!!

إلى اليمن في الأيام الماضية، والتقى بعدد من كبار المسئولين، وتقدم بلائحة مطالب مذلة للحكومة اليمنية، كان أهمها:

١- موافقة اليمن على تمركز قوات وطائرات أمريكية في بعض الأراضي اليمنية التي سيتم تحديدها من خلال لجنة عمل أمريكية يمنية مشتركة، وأن هذه المناطق سيتم إعلانها مناطق عسكرية أمريكية.

٢- تنضم لهذه القوات قوات أمريكية خاصة قوامها حوالي ٢٠٠٠ جندي، وتكون مهمتها تصفية كافة العناصر الإرهابية داخل اليمن، وأن يتولى قائد القوات الأمريكية الخاصة الإشراف بنفسه على الحملة اليمنية ضد قواعد الإرهاب.

٣- تتجاوز مهمة القوات الأمريكية في اليمن الأراضي اليمنية إلى الدول والمناطق المجاورة للقضاء على جميع عناصر القاعدة الذين هربوا من أفغانستان إلى اليمن والدول العربية والإفريقية المجاورة.

٤- أن هذه القوات ستعمل على تأمين الملاحة في منطقة البحر الأحمر ومضايقه، والأشراف على النواحي الفنية، وأن الإشراف يتضمن إمكانية تفتيش السفن والقطع البحرية، بعد أن زعمت المذكرة الأمريكية أن الإرهابيين قرروا استخدم السفن والقطع البحرية.

٥- المناطق العسكرية الأمريكية في اليمن سيتم تطويرها وفقًا للاحتياجات العسكرية الدفاعية والهجومية، وأن ذلك يتضمن إدخال نوعيات متطورة من الأسلحة الأمريكية.

٦- أن هذه القوات والمعدات ستعمل بالتنسيق مع بقية قيادة القوات الأمريكية في دول الخليج الأخرى.

٧- أن مهمة هذه القوات قد تمتد إلى عدد من دول الشمال الإفريقي المطلة على البحر المتوسط.

الموساد والـ CIA وراء التصعيد الهندي ضد باكستان

وقد أكدت مصادر خاصة أن الاستخبارات المركزية الأمريكية قد تعمدت نشر تقرير يؤكد إرسال فرق حرب إلكترونية مشتركة بين الهند وإسرائيل تستهدف المنشآت النووية الباكستانية، وذلك من خلال دعم أمريكي صهيوني كامل للقوات الهندية.

وكانت الهند وإسرائيل قد أبرمتا منذ ثلاثة أشهر اتفاقًا سريًا يقضي بالتعاون الاستراتيجي وتبادل المعلومات وتدريب القوات المساعدة في العمليات.

وتطور الاتفاق من خلال زيارة نائب رئيس هيئة العمليات الصهيوني للهند منذ أسابيع قليلة في لقاء تم بتنسيق الاستخبارات المركزية ((CIA)) وبحضور عدد من

ضباط هيئة العمليات المشاركة في حرب أفغانستان، واستهدفت الوصول إلى ما أسماه الجانب الهندي ((الصيد الثمين)) في إشارة للقنبلة الباكستانية.

وقد نُقل عن مصدر أمريكي أن المخابرات الأمريكية طلبت من الجانب الهندي تحريك أجواء الموقف، وقدمت صورة كاملة عن الموقف العسكري حال قيام الجانب الهندي وبدعم صهيوني أمريكي بضرب المفاعل النووي الباكستاني، وتدمير بنية المنظمات الباكستانية المعارضة للسياسة الأمريكية في باكستان، مثل منظمة ((عسكر طيبة))، و((جيش محمد))، و((تعمير الأمة)).

التفريط والهوان!!

إننا لن نلوم غيرنا كثيرًا على مواقفهم منا، ولكن اللوم كله نوجهه لأنفسنا؛ لأننا فرطنا وقصرنا، وما كان ينبغي أن يكون هذا هو حالنا، ولن نقول إن ما نحن فيه أمر أجبرنا عليه أو هو بفعل الآخرين، ولكن نقول إن ما نحن فيه من ضعف وهوان هو نتاج لسياستنا وثمرة مرة لأخطائنا وبُعدنا عن ديننا، قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٠).

مبشرات نصر الإسلام والمسلمين

في ظل الأحوال السيئة التي تعيشها الأمة الإسلامية وكثرة أحاديث بعض الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم، وأشراط الساعة، حديثًا يوحي مجمله أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، والخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعاته مخذولون!!

ومعنى هذا أنه لا أمل في تغيير، وأننا ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن الأسوأ إلى الأشد سوءًا، وهو سوء فهم لما ورد من بعض النصوص، وإغفال للمبشرات الكثيرة القاطعة، بأن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيظهره الله على كل الأديان، ولو كره المشركون.

لهذا كان من اللازم أن نتحدث عن تلك المبشرات ونشيعها بين المسلمين؛ حتى نبعث الأمل المحرك للعزائم، وهذه المبشرات كثيرة- بحمد الله تعالى- بعضها مبشرات نقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) (الفتح: ٢٨)، وقوله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف : ٨).

وبشارة قرآنية أخرى في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦).

كما أن هناك بشائر من الأحاديث النبوية فيما رواه مسلم

قبل أن نلوم غيرنا على عداوته يجب أن نلوم أنفسنا على تفريطنا في جنب الله!!

ليبلغن أمر الإسلام ما بلغ الليل والنهار ولو كره الكافرون أو غفل الغافلون فليستبشر العاقلون!!

في ((صحيحه)) وأبو داود والترمذي وصححه ابن ماجه وأحمد عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله زوى لي الأرض- أي جمعها وضمها- فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها)). والرسول صلى الله عليه وسلم يبشر هنا باتساع الدولة الإسلامية، بحيث تضم المشارق والمغارب، وهذا لم يتحقق من قبل بهذه الصورة التي جاءت في الحديث، فنحن في انتظاره كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وما رواه ابن حبان في ((صحيحه)): ((ليبلغن هذا الأمر- يعني الإسلام- ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)). فإذا كان الحديث يبشر باتساع دولة الإسلام، فهذا يبشر بانتشار هذا الدين، وبهذا تتكامل قوة الدولة وقوة الدعوة.

كذلك ما رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني قسطنطينية، ورومية هي ننطقها اليوم روما عاصمة إيطاليا، وقد فتحت مدينة هرقل على يد الشاب العثماني ابن الثالثة والعشرين محمد بن مراد، المعروف في التاريخ باسم «محمد الفاتح» سنة ١٤٥٣م، وبقي فتح المدينة الأخرى رومية، وهو ما نرجوه ونؤمن به، ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوربا مرة أخرى فاتحًا منتصرًا، بُعد أن طرد منها مرتين.

إن بعد الليل فجرًا، وإن مع العسر يسرًا، وأن المستقبل للإسلام، وسيمحق الله الباطل وأهله، وينصر الإسلام وأهله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الروم: ٤، ٥).

وبعد... فقد وعدنا الله بالنصر، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧)، ونحن نؤمن بوعد الله، ونرجو نصره، ونلتزم منهجه، فهو القائل: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿﴾ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٣، ١٨٤).

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نظرات على السنة

الحلقة الثانية

بقلم: متولي البراجيلي

إقرار النبي ﷺ السنة التقريرية

هي الأفعال الصادرة من أصحاب النبي ﷺ أو الأقوال وسكت عنها النبي ﷺ، فهذا القول أو الفعل مشروع؛ لأن النبي ﷺ لا يسكت على باطل، سواء كان الفعل في حضرته أو في غيبته وعلم به ﷺ.

ومن أمثلة ذلك:

- سكوته ﷺ وعدم إنكاره لعب الغلمان بالحراب في المسجد.

- سكوته على غناء جاريتين كانتا تغنيان في يوم عيد.

- ومثل السكوت في الدلالة على جواز الفعل استبشاره ﷺ به وإظهار رضاه عنه أو استحسانه له، بل هذا الرضا أو الاستحسان أظهر في الدلالة على جواز الفعل من مجرد سكوته.

فائدة

إباحة الفعل المستفاد من سكوت النبي ﷺ لا يدل على إباحته فقط، أي الجواز فقط، فقد يكون الفعل واجبًا بدليل آخر أو مندوبًا، وعلى هذا فمجرد سكوت النبي ﷺ لا يفيد أكثر من إباحة الفعل، وقد يستفيد الفعل صفة الوجوب أو الندب من دليل آخر.

والأصل في حجية إقرار النبي ﷺ يرجع إلى عاملين هامين:

١- أنه لا يجوز في حقه ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ لأن سكوته ﷺ يدل على جواز ذلك الفعل أو القول، بخلاف سكوت غيره.

لذلك بوَّب البخاري رحمه الله في «صحيحه» باب: من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول.

٢- إن من خصائصه ﷺ أن وجوب إنكار المنكر لا يسقط عنه بالخوف على نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فائدة

لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. (وقال ابن قدامة: الإجماع على ذلك).

لكن يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، فهذا جائز وواقع عند الجمهور، فالحاجة قد تدعو إلى تعجيل البيان، وقد تدعو إلى تأخيره، إذن سكوت النبي ﷺ وعدم إنكاره حجة يدل على الجواز بشرطين:

١- أن يعلم ﷺ بوقوع الفعل أو القول، فإما أن يقع في حضرته، أو في زمنه وهو عالم به لانتشاره انتشارًا يبعد معه ألاَّ يعلمه ﷺ.

٢- ألا يكون الفعل الذي سكت عنه النبي ﷺ صادرًا من كافر؛ لأن إنكاره ﷺ لِما يفعله الكفار معلوم ضرورة.

قال ابن حجر في «الفتح»: وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ لِمَا فُعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار دال على الجواز؛ لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يقر على باطل، فمن ثم قال البخاري في التبويب: لا من غير الرسول، فإن سكوته لا يدل على الجواز.

أما السكوت من غيره ﷺ فاختلفوا فيه، فقالت طائفة: لا ينسب لساكت قول؛ لأنه في مهلة النظر. وقالت طائفة: إن قال المجتهد قولاً وانتشر ولم يخالفه غيره بعد الاطلاع عليه فهو حجة. وقيل: لا يكون حجة حتى يتعدد القول به، على شرط أن لا يخالف ذلك القول نص كتاب أو سنة، فإن خالفه فالجمهور على تقديم النص.

فالصحابة كانوا يختلفون في كثير من المسائل الاجتهادية، فمنهم من كان ينكر على غيره إذا كان القول عنده ضعيفًا، وكان عنده ما هو أقوى منه من نص كتاب أو سنة، ومنهم من كان يسكت فلا يكون سكوته دليلاً على الجواز، لتجويز أن يكون لم يتضح له الحكم فسكت لتجويز أن يكون ذلك القول صوابًا وإن لم يظهر له وجهه.

ترك النبي ﷺ

أي تركه ﷺ فعل أمر من الأمور، وهو نوعان بالنسبة لنقل الصحابة رضي الله تعالى عنهم له:

١- التصريح بأنه ﷺ ترك كذا وكذا ولم يفعله، كقول الصحابي في صلاة العيد: صلى العيد بلا أذان

ولا إقامة.

٢- عدم نقل الصحابة للفعل الذي لو فعله ﷺ لتوفرت هممهم ودواعيهم أو أكثرهم أو على الأقل واحد منهم على نقله للأمة، فحيث لم ينقله واحد منهم ألبتة ولا حدث به في مجمع أبدًا، علم أنه لم يكن.

وذلك كتركه ﷺ التلفظ بالنية عند دخوله الصلاة، وتركه الدعاء بعد الصلاة مستقبل المأمومين وهم يؤمنون على دعائه.

فترك النبي ﷺ لفعل من الأفعال يكون حجة، فيجب ترك ما ترك كما يجب فعل ما فعل، وذلك بشرطين:

الشرط الأول: أن يوجد السبب المقتضي لهذا الفعل في عهده ﷺ، وأن تقوم الحاجة إلى فعله.

أما إذا لم يوجد المقتضي ولا السبب الموجب لهذا الفعل، فإن ترك النبي ﷺ حينئذ لا يكون سنة؛ لأن تركه كان لعدم وجود المقتضي، وذلك كتركه ﷺ قتال مانعي الزكاة؛ إذ هذا الترك كان لعدم وجود السبب وعدم قيام المقتضي، فلما فعل أبو بكر رضي الله عنه ذلك وقاتل مانعي الزكاة لم يكن مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ.

هذا بخلاف ما فعله بعض الأمراء من الأذان للعيدين، فإن هذا من البدع؛ لأن رسول الله ﷺ ترك ذلك مع وجود المقتضي، فدل ذلك على أن ترك الأذان في صلاة العيدين سنة، فليس لأحد أن يزيد في ذلك.

الشرط الثاني: انتفاء الموانع وعدم العوارض؛ لأنه ﷺ قد يترك فعلاً من الأفعال مع وجود المقتضي له، بسبب وجود مانع يمنع من فعله، وذلك كتركه ﷺ قيام رمضان مع أصحابه في جماعة- بعد عدة ليال- وعلل ذلك بخشية أن تفرض عليهم، فلما كان عمر رضي الله عنه جمعهم على قارئ واحد، ولم يكن هذا الاجتماع بهذه الهيئة مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ. وهكذا أيضًا جمع القرآن.

فإن المانع من جمعه كان على عهد رسول الله ﷺ، أن الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن بموته ﷺ أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه.

وخلاصة القول: أن تركه ﷺ لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يترك الفعل لعدم وجود المقتضي له- كتركه قتال مانعي الزكاة- فهذا الترك لا يكون سنة، بل إذا قام المقتضي، كما قام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فإن الفعل هنا لا يكون مخالفًا للسنة، بل إن هذا العمل يكون من سنته؛ لأنه عمل بمقتضى سنته ﷺ.

الحالة الثانية: أن يترك الفعل مع وجود المقتضي له بسبب قيام مانع، كتركه ﷺ قيام رمضان جماعة بسبب خشيته أن يفرض على أمته، فهذا الترك لا يكون سنة، بل إذا زال المانع بموته ﷺ كان فعل ما تركه مشروعًا غير مخالف لسنته كما فعل عمر رضي الله عنه، بل إن هذا العمل يكون من سنته؛ لأنه عمل بمقتضى سنته ﷺ.

الحالة الثالثة: أن يترك ﷺ الفعل مع وجود المقتضي له وانتفاء الموانع، فيكون تركه ﷺ سنة كتركه الأذان لصلاة العيدين.

وهذا القسم من سنته ﷺ (السنة التركية) أصلٌ عظيمٌ وقاعدة جليلة، به تحفظ أحكام الشريعة ويوصد به باب الابتداع في الدين.

قال ابن القيم رحمه الله: فإن تركه ﷺ سنة كما أن فعله سنة فإذا استحببنا فعل ما تركه كان نظير استحبابنا ترك ما فعله ولا فرق.

فإن قال قائل: ومن أين لكم أنه لم يفعله ﷺ؟ إذن لشرَّع كل من أراد أن يشرع محتجًا بقوله هذا: إن عدم النقل لفعله ﷺ لا يدل على أنه لم يفعله، وهذا باطل كما أوضحنا.

فتجدر الإشارة إلى أن سنة الترك مبنية على المقدمات التالية:

المقدمة الأولى: كمال هذه الشريعة واستغناؤها التام عن زيادات المبتدعين واستدراكات المستدركين، فقد أتم الله دينه ورضيه لنا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله ﷺ: «وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء». [السلسلة الصحيحة (٦٠٨\٢)].

المقدمة الثانية: بيانه ﷺ لهذا الدين وقيامه بواجب التبليغ خير قيام، فلم يترك ﷺ أمرًا من الأمور لهذا الدين صغيرًا كان أو كبيرًا إلا وبلغه لأمته، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد استشهد ﷺ أمته يوم حجة الوداع، فقال مخاطبًا إياهم: «ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم فاشهد». [صحيح البخاري].

المقدمة الثالثة: حفظ الله سبحانه وتعالى لهذا الدين وصيانته من الضياع: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأسباب والعوامل التي يسرت نقل هذا الدين وبقاءه وحفظه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: إن الترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة، بخلاف ما كان تركه لعدم مقتض، أو فوات شرط، أو وجود مانع، وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذٍ، كجمع القرآن في المصحف، وجمع الناس في التراويح على إمام واحد، وتعلم العربية، وأسماء النقلة للعلم، وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين. والله المستعان.

الإعلام
بسير الأعلام

شيخ المشرق إسحاق بن راهويه

بقلم: مجدي عرفات

نسبه: هو الإمام الكبير سيد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبدالله بن مطر بن حنظلة التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور ابن راهويه.

مولده: ولد سنة إحدى وستين ومائة، روى عنه: أحمد، وابن معين، وإسحاق بن منصور، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

لماذا قيل له ابن راهويه؟

قال له الأمير عبد الله بن طاهر: لِمَ قيل لك ابن راهَوَيْه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يُقال لك ذلك؟ قال: اعلم أيها الأمير أن أبي ولد في طريق مكة، فقالت المراوزة: راهويه؛ لأنه ولد في الطريق، وكان أبي يكره هذا، وأما أنا فلا أكرهه.

سعة حفظه وضبطه

روى علي بن خشرم عن الشعبي قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته. قال علي: فحدثت بهذا إسحاق بن راهويه، فقال: تعجب من هذا؟ قلت: نعم، قال: ما كنت أسمع شيئًا إلا حفظته، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث- أو قال فأكثر- في كتبي.

وقال أبو داود الخفاف: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لكأني انظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفًا أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا.

قال الذهبي: هذه الحكاية رواها الحافظ ابن عدي عن يحيى بن زكريا بن حيويه سمع أبا داود فذكرها، فهذا والله الحفظ.

قال أبو حاتم: ذكرت لأبي زرعة حفظ إسحاق بن راهويه، فقال أبو زرعة: ما رُئي أحفظ من إسحاق، ثم قال أبو حاتم: والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ.

قال أحمد بن سلمة: فقلت لأبي حاتم: إنه أملى التفسير عن ظهر قلب. قال: وهذا أعجب فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها.

ثناء العلماء عليه

قال أحمد بن حنبل: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا.

قال أحمد بن سعيد الرباطي: لو كان الثوري والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

قال نعيم بن حماد: إذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه.

قال وهب بن جرير: جزى الله إسحاق بن راهويه وصدقة بن الفضل ويعمر عن الإسلام خيرًا، أحيوا السنة بالمشرق.

قال يحيى بن يحيى: ليوم من إسحاق أحبّ إليَّ من عمري.

قال أبو نعيم: كان إسحاق قرين أحمد، وكان للآثار مثيرًا، ولأهل الزيغ مُبيرًا.

وسُئل أحمد بن حنبل عن إسحاق فقال: مثل إسحاق يُسأل عنه؟ إسحاق عندنا إمام. وقال أيضًا: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرًا.

قال النسائي: ابن راهويه أحد الأئمة، ثقة مأمون.

وقال ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

سأل يحيى بن معين إسحاق عن حديث فحدثه به، فقال له رجل: يا أبا زكريا: رواه وكيع بخلاف هذا، فقال: اسكت إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتشك فيه؟

من أحواله وأقواله

قال حرب الكرماني: قلت لإسحاق: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] كيف تقول فيه؟ قال: حيثما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، وأبين شيء في ذلك قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥].

وقال: إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة.

قال أبو داود السجستاني: سمعت ابن راهويه يقول: من قال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق- يعني القرآن- فهو جهمي.

وقال له بعض المتكلمين من منكري صفات الرب: كفرتُ بربٍّ ينزل من سماء إلى سماء، فقال: آمنتُ برب يفعل ما يشاء. قال الذهبي: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول قد صحت بها النصوص ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم- أي إجماعهم- على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن ذلك في محاولة للرد على الله ورسوله أو خوفًا على التكييف أو التعطيل.

قال إسحاق: دخلت على ابن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ تتكلم في هذا؟

وفاته: توفي رحمه الله سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

رحم الله شيخ المشرق إسحاق بن راهويه.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء.
٢- تهذيب الكمال.
٣- سير أعلام النبلاء.

احذروا الغفلة

بقلم: جمال عبد الرحمن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ. مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ. لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ... ﴾ الآيات [الأنبياء: ١ - ٣].

قال القرطبي رحمه الله: قيل: الناس عموم، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش، يدل على ذلك ما بعده من الآيات، ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله وطابت نفسه بالتوبة ولم يركن إلى الدنيا.

وقال: ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾؛ عن الآخرة وعن التأهب للحساب وعما جاء به محمد ﷺ.

[(١١/ ٢٦٧)]. اهـ.

والآيات تبين مظاهر الغفلة عند الناس. ومنها:

١- الإعراض.

٢- عدم الاهتمام عند استماع الذكر.

٣- لهو القلوب.

وهذه أمور خطيرة على من أصابته، بعضها أو كلها، ولذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الغفلة، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم والقسوة، والغفلة والعيلة، والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الأسقام». [«صحيح الجامع» (١٢٨٥)].

وإذا كانت الغفلة هي ذلك الداء الخطير الذي يحول بين المرء وربه، فكان لزامًا أن نتعرف على أسبابها وأضرارها وعلاجها لننجو منها إن شاء الله.

أولاً: أسباب الغفلة:

١- الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها.

وقد أظهرت الآيات القرآنية الصلة الوثيقة بين استحباب الدنيا على الآخرة وبين الغفلة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٧، ١٠٨].

كذلك مما يُظهر الصلة الوثيقة بين حب الدنيا وبين

الغفلة؛ ما دلت عليه الآيات القرآنية من صرف بعض الناس همـمـهم وعـزمـهم في علوم الدنيـا دونما التـفـات إلى علوم الدين والشـريعـة والدار الآخرة، فقال عز من قائل عن مثل هؤلاء: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، وقال عنهم النبي ﷺ: «عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة». «صحيح ابن حبان» رقم (٧٢)، والبيهقي (١٠/١٩٤)، وحسنه الألباني.

٢- ترك الجُمع والجماعات.

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، فالسهو عن الصلاة وإتيان بعضها وترك بعضها يؤدي بصاحبه إلى السهو والغفلة عن الله وعن حزبه وعن جماعة المسلمين.

وقال ﷺ: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجُمُعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين». [«صحيح الجامع» (٥٤٨٠)].

٣- ترك ذكر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. فأمر سبحانه وتعالى بالذكر في سائر الحالات والأوقات؛ لأن من ترك الذكر كان من الغافلين.

ولقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم ﴿لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، فكيف بمن يذهل عن الذكر في عامة أمره يقظة ونومًا، أكلاً وشربًا، خروجًا ودخولاً، سفرًا ونزولاً، وفي سائر الأحوال؟! وهل نشابه المنافقين في بعض صفاتهم؟ هذا ما لا يليق بمسلم.

٤- رفقاء السوء.

لا شك أن رفيق السوء لا ينكر منكرًا ولا يعرف معروفًا ولا يأمر بخير، ورفيق السوء في طريق بعيد عن الله وعن رسول الله، فهو لا ينصح لأحد ولا يدعو إلى الخير أحدًا، فمصاحبته خسارة وبوار، والقرب منه غفلة ودمار، والرضا به حسرة وندامة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩].

٥- ترك زيارة القبور ونسيان المصير المحتوم.

قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة». فنسيان الموت ونسيان الآخرة لا شك أنه الغفلة بعينها.

٦- صرف الأسماع والأبصار والقلوب إلى الشهوات والملذات.

لقد خلقنا الله تعالى وأنعم علينا بنعم كثيرة منها جوارحنا؛ من سمع وبصر وغيره، فإذا استخدمنا هذه الأدوات في مرضاة الله شكرناه وعرفنا قدره، وقدر نعمه علينا، أما إذا استمعت الأذن إلى ما لا يرضي الله من لهو وأغان ماجنة وشاهدت العين ما حرم الله وانطوى القلب على حقد وغل وكيد ومكر، فإن هذا باب عريض للغفلة ونسيان أمر الله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [النحل: ١٠٨].

أضرار الغفلة

١- الضرر الأول: عدم استجابة الدعاء.

قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه». [«صحيح الجامع» (٢٤٥)].

٢- الضرر الثاني: أنها سبب لوقوع العقوبة الربانية.

قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

فقد تكون العقوبة غرقًا أو مرضًا أو جوعًا، أو غلاءً أو وباءً، أو الفناء بالوباء، أو تسلط الأعداء: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقد تكون تفريق شمل الغافل وجعل فقره بين عينيه؛ لأنه جعل الدنيا أكبر همه. قال ﷺ: «من كانت

الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه» صحيح رواه أحمد وابن ماجه وفى الصحيحة رقم (٩٥٠).

٣- الضرر الثالث: الغافل مصروف عن آيات الله.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله: أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون في الناس بغير حق. وقال سفيان: أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي. [ابن كثير، سورة الأعراف].

إذن فالغافل لن يكون الله سمعه الذي يسمع به، ولا بصره الذي يبصر به، ولا يده التي يبطش بها، ولا رجله التي يمشي بها، ولئن سأل الله فلن يعطيه، ولئن استعاذ به فلن يعيذه، فلا توفيق ولا سداد ولا هدى ولا رشاد. نعوذ بالله من الخذلان.

علاج الغفلة

مما سبق نستخلص أن علاج الغفلة يكون بالقضاء على أسبابها.

١- فإذا كنا نركن إلى الدنيا ونطمئن إليها، فلنبادر فنجعل الآخرة أكبر همنا وغاية علمنا، وهذا يكون بعقد المقارنة بين الدنيا والآخرة، فيترجح عند المؤمن العمل للآخرة.

٢- المحافظة على الصلوات والجمع وسائر الطاعات وقيام الليل، وقد قال نبينا ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»(١). [«صحيح الجامع» (٦٤٣٩)]. والمقنطرين: أي أعطي قنطارًا من الأجر. «لسان العرب».

فقيام الليل دواء ودليل عظيم على زوال الغفلة، فهو شرف المؤمنين، ودأب الصالحين.

٣- الإكثار من الذكر وتحريه والمثابرة عليه، فمن فعل ذلك كان كما قال الله: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

٤- ترك رفقة السوء والتحول إلى رفقة صالحة تذكر بالله وتعين على الطاعة لتزول الغفلة.

٥- زيارة المرضى وأصحاب البلايا وكذلك زيارة القبور، فإنها كما قال ﷺ: «فإنها تزهد في الدنيا وترغِّب في الآخرة».

٦- استخدام الحواس والجوارح فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، فيستفيد الإنسان، فلا يسمع إلا خيرًا، ولا يرى إلا خيرًا.

٧- التحول عن المكان الذي يصيبنا فيه الغفلة.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «تحولوا عن مكانكم الذي أصابتكم به الغفلة». [«صحيح الجامع» (٢٩٢٦)]. قال ذلك حينما نام أصحابه عن صلاة الصبح لما عرَّس بهم مرجعه من خيبر (أي سار بهم ليلاً) فناموا، وقبل أن يناموا قال رسول الله ﷺ: «من يحفظ علينا صلاتنا؟» فقال بلال: أنا، فناموا حتى الصباح، فلما قاموا قال النبي ﷺ: «تحولوا عن المكان الذي أصابتكم به الغفلة». وقال: «يا بلال، نمت؟» فقال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفسكم.

فإذا كان الوصف بالغفلة لمن نام عن الصلاة مرة واحدة بدون قصد النوم عنها أو تفويتها وقد أخذ بأسباب الاستيقاظ، فكيف بمن لا يصلي الصبح في موعده أو في جماعة؟ والله المستعان.

كلمة أخيرة

أخي المسلم: اعلم أن الغفلة طريق جهنم- والعياذ بالله- فهي أمر لا يستهان به، وهي والجهل قرينان، فاحذر أن تكون من الجاهلين الغافلين فتهلك مع الهالكين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ. أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨].

وقانا الله شر الغفلة وصحبة الغافلين، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) المقنطرون: هم الذين يجمعون القناطير من الحسنات.

أسباب النصر الموعود

وصلاً بما سبق من أسباب نصر الأمة على أعدائها، نقول وبالله التوفيق:

١٢- الوحدة الإسلامية:

فالوحدة الإسلامية هي حجر الزاوية في الانتصارات الإسلامية المتعاقبة، وقد خاطب اللّه جل وعلا المسلمين في كتابه العزيز بالأمة ولم يخاطبهم كعرب أو ترك أو بربر، وإنْ كانت هذه الأعراق محل اعتبار في الكيان الإسلامي الكبير المعروف بالأمة والتي تحوي كل هذه الروافد البشرية والأعراق والقبائل والأفخاذ والبطون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

والكيان الكبير الذي صهر كل هذه الأعراق والشعوب في بوتقته هو الأمة الإسلامية، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

والخطاب العام في القرآن إما للناس جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ المؤمن منهم والكافر، أو للمؤمنين خاصة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾. وقد كان هذا النداء راية ومظلة استظل بها كل من آمن باللّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

فانتشر الإسلام ومعه هذه المظلة التي دخل تحتها العربي والعجمي والأسود والأحمر والأبيض والجاهل والمتعلم.

وبيَن المولى جل وعلا في كتابه أهمية الوحدة الإسلامية، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام التمسك بالشيء «وحبل الله» عهده ودينه، ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن الفرقة، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب.

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تحض هذه الأمة على التجمع والتوحد والاعتصام بحبل اللّه جل وعلا.

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «إن اللّه يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه اللّه أمركم، ويسخط لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

وقد أثنى اللّه جل وعلا وامتن على أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، فقال: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، وقد وقعت بين هذه القبائل من الثارات والعداوات والوقائع ما اللّه به عليم، فمحا اللّه من قلوبهم هذه الضغائن وجمع كلمتهم وحبب بعضهم إلى بعض، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ثم أمرهم رب العزة والجلال أن يكونوا أمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقد أمرهم اللّه جل وعلا أن ينتصبوا كأمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ لأن هذا قوام الإسلام وعلامة على بقائه واستمراره، وإلا فلو كثرت المنكرات والمعاصي وتُركت الطاعة لم يكن ثمة إسلام.

ولذلك روى أحمد من حديث حذيفة أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم».

بل إن رسول الله ﷺ جعل إنكار المنكر بالقلب حدًا فاصلاً بين الإيمان وعدمه، فقد قال فيما روى مسلم من حديث أبي هريرة: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

على شرذمة اليهود

الحلقة السادسة

بقلم: د. الوصيف علي حزة

ثم نهانا ربّ العزة والجلال عن الفرقة والاختلاف فقال: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، فقد روى أحمد في «مسنده» من حديث معاوية بن أبي سفيان أنه حج فقام بعد الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- يعني الأهواء- كلها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله». والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن يقوم به. ورواه أبو داود أيضًا.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ خطب في الأنصار فقال ممتنًا عليهم بنعمة الله: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي». كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمَنّ.

ولما كانت الوحدة الإسلامية بهذه الأهمية الكبرى، فإن الله جل وعلا حذر المؤمنين من كل ما يخدشها أو يشوش عليها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وفي هذه الآيات نَهَى الله المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم من أهل النفاق والخلاف والفرقة والملل والنحل الأخرى غير الإسلام، حيث يطلعون على أدق تفاصيل خطط المسلمين، ويمكن- والحال كذلك- أن يقوموا بإفشاء سر المؤمنين إلى غيرهم من أهل الحرب، وأهل النفاق قد يتسللون إلى مواقع مهمة في جيوش المسلمين وحكوماتهم ويخدعونهم بشتى أنواع الخداع والمكر والحيل مما يربك المسلمين ويزيل الصف ويفرق الكلمة ويقدح في الوحدة الإسلامية التي حرص الإسلام عليها وحضنا على التمسك بها، ومما هو جدير بالإشارة أن الله جل وعلا حذر أيضًا من التنازع، فقال: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وبيّن الرسول ﷺ أهمية طاعة الأئمة والأمراء في غير معصية الله وعدم منازعتهم لما في ذلك من الفساد العريض والشر المستطير.

حاجة الأمة الإسلامية إلى الوحدة هذه الأيام

وإذا كانت الوحدة الإسلامية مهمة في كل وقت، فهي ملحة خاصة في هذا الأيام، التي تداعت علينا فيها الأمم وكالبونا من كل جانب، حتى ترملت المرأة، وتشرد اليتيم، وبكى الشيخ الفاني عجزًا أن يجدوا من يأخذ بأيديهم، فمعظم اللاجئين في العالم اليوم مسلمون، في فلسطين، والشيشان، وكشمير، وأفغانستان، ومن أعظم أسباب ذلك هذه الفتن التي دستها الدولة الأمريكية بين أبناء هذه الأمة وتفطنها لخطر وحدتها على مستقبل الفكر الغربي في العالم، فعمدت إلى تمزيق وحدتها بوضع قواعد عسكرية وفواصل بين أقطارها، بحيث لا يُتاح لها التوحد بحال!!

وهذه الخطط الشيطانية تسير فيها الدولة الأمريكية بإيعاز من اللوبي الصهيوني الذي يخشى الصحوة الإسلامية والوحدة الإسلامية، وقد تسلل هذا اللوبي الصهيوني في كل مواقع اتخاذ القرار في أمريكا، حتى جعل هذه الدولة ألعوبة في يديه يحركها وفق أهوائه وأهدافه.

والمطلوب من الأمة أن تتمسك بحبل الله كما أمرها الله، وأن تتوحد كما كانت من قبل، فإن أسباب النصر على الأعداء ما تزال موجودة بين يديها، فهلا تمسكت بها لتكون جديرة بوصف الله تعالى لها في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

نوادر ولطائف

○ جاء رجل إلى أبي حازم القاضي، فقال: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت امرأتك. فيشككني، فقال له: أو ليس قد طلقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتني أمس فتطلقها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم، ولا طلقتها بوجه من الوجوه، قال: فاحلف للشيطان كما حلفت لي تكن في عافية منه. «أخبار الظرفاء».

حكم ومواعظ

● قال عبد الله بن مسعود: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدبارًا، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها». «صفوة الصفوة».

☐ قيل لعبد الله بن عمر: توفى فلان الأنصاري، قال: رحمه الله. فقال: ترك مائة ألف. قال: لكن هي لم تتركه. «صفوة الصفوة».

☐ دخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا. قال: إنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا. قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه. «صفوة الصفوة».

من نصائح السلف

○ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الفقيه هو الذي لا يُقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبةً عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها. «صفة الصفوة».

من أقوال السلف في الجدال

☐ سئل الإمام مالك بن أنس: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالمًا بالسنة يجادل عليها؟ قال: لا. يخبر بالسنة، فإن قبلت منه وإلا أمسك. «رسالة السجزي».

☐ وسُئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله، أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري فيتكلم مبتدع فيه. أرد عليه؟ فقال: لا تنصب نفسك لهذا، قال: أخبر بالسنة ولا تخاصم. «رسالة السجزي».

- وقال الحسن: المؤمن ينشر حكمة الله، فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردت عليه حمد الله، وموضع الحمد في الرد أنه قد وفق لأداء ما عليه. «رسالة السجزي».

☐ جاء رجل إلى الحسن، فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين. فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه. «الشريعة».

وصف العدل

سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي أن يصف له العدل، فقال: سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل منهم أخًا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن لغضبك سوطًا واحدًا فتعدّ من العَادين. «تاريخ الخلفاء».

عمر بن عبد العزيز يرجح العدل والحق

كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: إن أهل خرسان قوم ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك. فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم. والسلام. «تاريخ الخلفاء».

قالوا في الصمت

الصمت زين والسكوت سلامة
فإذا نطقت فلا تكن مكثارًا
فإذا ندمت على سكوتك مرّة
فلتندمن على الكلام مرارًا

اضبط هذا الحديث

قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة». فذكر: «المنَفِّقَ سلعتَهُ بالحلف الفاجرة». رواه مسلم.

المنَفِّق: مشددة الفاء: أجود، يريد المروج لها، من النَّفاق.

فأما المنْفق، ساكنة النون، فإنه يوهم معنى الإنفاق. «إصلاح غلط المحدثين».

أقوال ومعتقدات خاطئة!!

«الأقارب عقارب»!!

هذا قول خاطئ، والصحيح أن المسلم مأمور بصلة الرحم.

قواعد فقهية تهم طلاب العلم

- الوسائل لها أحكام المقاصد، ويتفرع على هذا الأصل أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروه تابعة لها، ويتفرع عليها أن توابع العبادات والأعمال حكمها حكمها.

- المشقة تجلب التيسير، وجميع رُخص الشريعة وتخفيفاتها متفرعة عن هذا الأصل. «قواعد فقهية للسعدي».

وصايا إلى طلاب العلم

ـ على طالب العلم أن يلزم خشية الله تعالى وذلك بالتحلي بعمارة الظاهر والباطن محافظا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها دالاً على الله بعلمه، وسمته وعمله، كما يكون متحليًا بالرجولة والسمت الصالح، ولهذا قال الإمام أحمد: أصل العلم خشية الله تعالى.

ـ فالزم أيها الطالب خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغيب عن بالك أن العالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

ـ وتذكر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل». «حلية طالب العلم».

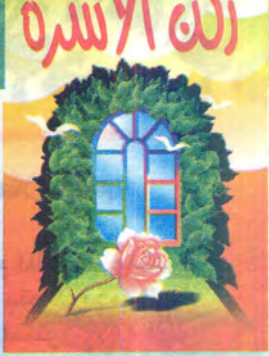

أثر القدوة على النشء!!

بقلم: د. إبراهيم الشربيني

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان والتي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار.

والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر مما يظن ويتصور الوالدان، فالطفل يتأثر بهما ويقلد طريقتهما في معاملتهما، وعلاقتهما بجيرانهما، وحديثهما عن زملائهما في العمل، دون أن يشعرا غالبًا بهذا الأمر، فاتجاهاتهما النفسية تصبح كلها هي نفس اتجاهاته النفسية.

والوالدان يطبعان في طفلهما أقوى الآثار، قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه». [البخاري (١٢٩٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فنامَ النبي ﷺ، فلما كان في بعض الليل، قامَ رسول الله ﷺ فتوضأ من شنٍّ مُعلق وضوءًا خفيفًا، ثم قام يصلي، فقمت، فتوضأت نحوًا مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره، فحولني، فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله... الحديث كما عند البخاري.

فقد توضأ الطفل على نحو ما رآه، ثم وقف يصلي... وهكذا تكون القدوة الحسنة المؤثرة في الطفل، وفي مطالبة الوالدين بالقدوة الحسنة؛ لأن الطفل الناشئ يراقب سلوكهما وكلامهما، قال ﷺ: «من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه، فهي كذبة». أخرجه أحمد عن أبي هريرة.

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها: «أما إنكِ لو لم تعطيه شيئًا، كتبت عليك كذبة».

وفي مراقبة سلوك الوالدين وكلامهما من الطفل وسؤاله عن السبب في ذلك يظهر أثر القدوة، فهذا الطفل عبد الله بن أبي بكرة قال: قلت لأبي: يا أبت أسمعك تقول كل غداة: «اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت»، تكررها ثلاثًا حين تصبح وثلاثًا حين تمسي، فقال: يا بني! إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، وإني أحب أن أستنَّ بسنته. رواه أبو داود.

وعن مسلم بن أبي بكرة قال: سمعني أبي وأنا أقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والكسل، وعذاب القبر». قال: يا بني! ممن سمعت هذا؟ قلت: سمعتك تقولهن، قال: الزمْهُنَّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقولهن. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

إذن فالولد الذي يرى أباه دائم الذكر والتهليل والتحميد والتسبيح

والتكبير يلتقط من قوله: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر.

والولد الذي يرسله أبوه ليلاً بالصدقات إلى الفقراء سرًا في بيوتهم يختلف عن الولد الذي يرسله أبوه لشراء السجائر.

والولد الذي يرى أباه يصوم الاثنين والخميس ويشهد الجمع والجماعات ويحضر الصلاة في المساجد، ليس كالطفل الذي يرى أباه في المسارح والملاهي.

ترى الابن الذي يسمع الأذان كثيرًا يردد الأذان، والابن الذي يسمع أباه يغني يردد هو الآخر الأغاني على الدوام.

والفتاة التي ترى أمها دائمًا متحجبة عن الرجال مستترة عنهم، قد غمرها الحياء، وغطاها الوقار، وعلتها العفة، فإنها تتعلم من أمها الحياء والوقار والعفة.

بخلاف فتاة ترى أمها دائمًا في تبرج أمام الرجال، وتصافح الأجانب وتخالطهم وتجالسهم.

والطفل الذي يرى أباه يقوم من الليل يصلي يتلو القرآن ويبكي، لا بد أن يفكر، لماذا يبكي أبي؟ ولماذا يصلي؟ ولماذا يترك النوم؟ تساؤلات تدور في ذهنه تدله بإذن الله على طريق الله.

وعلى هذا يكون التعود على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية، إذ إن العقيدة الإسلامية لا يكفي أن تكون في قلب المسلم دون أن يكون لها واقعها العملي المترجم في السلوك الإسلامي الصحيح في جميع مجالات الحياة، فقد ذم اللّه تعالى، ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». [مسلم (٥١) كتاب الزهد].

ولعل سبب هذا التحذير الشديد من مخالفة القول للعمل هو ما يمكن أن تسببه هذه المخالفة من ضرر بالغ في نفسية المقتدي، فما بالنا بطفل لا يعقل، والطفل الذي ينشأ وهو يظن أن والده يدعي الالتزام في الخارج، وليس كذلك مع زوجته وأولاده وأسرته بل ومع نفسه في بيته، يكون أصعب الأطفال في استمالته إلى طريق الالتزام والتدين.

والتلقين لا يثمر مع الطفل وإن استعملنا معه جميع وسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة، التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة.

ومهما سمع الطفل من المربين، فلن يحمل في داخله سوى الصورة التي يراها أمامه من أنماط السلوك إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

فعار علينا أن ننهى أطفالنا عن الشر ونأتيه، فكيف ينهى رجل ولده عن الكذب، وهو يكذب أمامه، يقول له- حين يأتي من يسأل عنه، قل له: هو غير موجود-، فكيف يتعلم هذا الطفل الصدق أو الوفاء؟!

كيف ينهى ولده عن رفع الصوت، وهو يرفعه في البيت بالشتم والسب والصياح؟!

كيف ينهى ولده عن شرب الدخان أو النظر إلى المحرمات، وهو يشرب الدخان وينظر إلى المحرمات؟!

أيها الأب: لو رآك طفلك تفعل ما تنهاه عنه وسألك: لِمَ يا أبي تفعله؟ أو قال لأمه: لم يا أمي تفعلين ذلك؟ فبماذا ستجيبان وأنتما تفعلان؟!

يقول شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وأخيرًا، عيون أولادنا معقودة علينا، فهل نكون على المستوى المطلوب منا من الشعور بالمسئولية ؟: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». البخاري (٢٥٥٤).

حكم خروج المرأة

الحلقة الثانية

بقلم: أسامة العوضي

الأسباب التي تجوز للمرأة الخروج

١- الخروج للعمل وطلب الرزق والقوت الضروري.

أوجب الله على الرجل النفقة على زوجته وعياله بحد الكفاية وعلى قدر الطاقة، فإذا مرض الزوج أو مات أو ضعف عن تحصيل ذلك لمرض أو غير ذلك ولم تجد المرأة من ينفق عليها ويسد حاجتها من أب أو أخ أو من ذوي قرابتها جاز لها أن تخرج لتحصيل الرزق والقوت الضروري.

وقد ألمح القرآن إلى ذلك وهو يقص علينا نبأ موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح وهما تسقيان الغنم، وذكر لنا القرآن أن موسى لما رأى المرأتين في هذا الموقف سارع بمساعدتهما، وكأنه راعه أن يراهما وسط الرجال، فإن الأصل أن يكون ذلك العمل من اختصاص الرجال، ولذلك سألهما عن سبب ذلك فقالتا: ﴿لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء﴾ [القصص: ٢٣]، ثم ذكرتا السبب الذي اضطرهما إلى الخروج، فقالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، فكأنهما تقولان: الضرورة التي أخرجتنا: هي أن أبانا شيخ كبير السن لا يستطيع أن يباشر رعي الغنم الذي هو مورد رزقنا.

ومع ذلك فنحن نلتزم الأدب ولا نزاحم الرجال، وجاء الإسلام وأقر هذا الحق للمرأة، ما دامت عندها الضرورة قائمة أو الحاجة ملحة؛ لأنه حق طبيعي مكفول، وقد أذن النبي ﷺ لنسائه في الخروج لقضاء حوائجهن كما جاء الخبر في الصحيحين: «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن». قال ابن هشام: يعني البراز. (خ: ١٤٧).

هذا هو الأصل ويأتي غيره تبعًا أو لتحصيل المصلحة التي لا تتحقق إلا بالخروج المشروط بشروط ستأتي.

٢- وتخرج المرأة لتلقي العلم الذي يُعرفها واجبها نحو ربها ونحو أسرتها ومجتمعها الإسلامي، وذلك إذا لم تستطع أن تحصل العلم وهي في بيتها على يد زوجها أو ولي أمرها، إما بنفسه، أو بإحضار من يقوم بذلك، وكان النساء على عهد النبي ﷺ يخرجن لسؤاله عما يهمهن من أمر دينهن وحياتهن.

وقد ورد في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ خصص يومًا يلتقي معهن بعيدًا عن الرجال، ليكون المجال واسعًا معهن في سؤاله عن الدقائق التي يستحيل أن تذكر أمام الرجال.

فعن أبي سعيد الخدري أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: «ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فخصص لهن يومًا يعلمهن فيه». [رواه مسلم].

٣- الخروج لحضور الصلاة في المسجد والعين.

٤- للاستشفاء وطلب العلاج.

٥- الخروج للجهاد إذا كان فرض عين أو لمداواة الجرحى إذا تعين ذلك.

والأدلة على ذلك كثيرة.

شروط جواز خروج المرأة من البيت

الأولى للمرأة أن تستقر في بيتها ولا تخرج منه إلا لداع قوي، كما بينا، وقد اشترط العلماء لجواز خروج المرأة شروطًا، الغرض منها ألا يساء استعمال هذا الحق؛ لأن المبدأ المقرر قد يكون في نفسه سليمًا، لكن عند تطبيقه لا تراعى فيه الاحتياطات اللازمة لسلامته، عند الإهمال يكون نقدًا للمبدأ من واقع الخطأ في التطبيق، ولعل مما يشير إلى سوء استعمال الحق قول عائشة رضي الله عنها: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد.

وأهم هذه الشروط ما يلي:

١- أن يأذن لها الزوج أو ولي أمرها. وذلك حتى يطمئن الزوج على خروج زوجته بعد أن يعرف السبب والوجهة، وذلك حتى إذا تأخرت عرف أين ذهبت، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: «إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد فأذنوا لهن». [رواه مسلم عن عمر].

وروي عن عاتكة بنت زيد امرأة عمر بن الخطاب أنها كانت تستأذنه في الذهاب إلى المسجد فيسكت، فتقول: والله لأخرجن إلا أن تمنعني، فلا يمنعها. [ذكره مالك في الموطأ (١\١٥٦)].

وقد شرط العلماء لإذن الزوج لها ألا تكون هناك مفسدة، وإلا كان له أن يمنعها، وقد حدد الإمام النووي هذه المفسدة بقوله: ألا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها، ولا ثياب فاخرة، ولا مختلطة بالرجال، ولا شابة، ونحوها ممن يفتن بها، وألا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها. قال: وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجدت الشروط المذكورة، فإذا لم يكن لها زوج أو سيد حرم المنع إذا وجدت الشروط المذكورة. [شرح مسلم (٤\١٦١، ١٦٢)].

٢- أن تكون ساترة لعورتها؛ لأن خروجها بغير حجابها يؤدي إلى فتنة الرجال بها، وفي ذلك أعظم المفسدة.

وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حالة النساء على عهد رسول الله ﷺ وخروجهن متحجبات، فقالت: إن نساء المؤمنين كن يصلين الصبح مع النبي ﷺ ثم يرجعن متلفعات بمروطهن لا يعرفهن أحد. [رواه البخاري ومسلم].

٣- عدم الخلوة. يشترط لجواز خروج المرأة من بيتها لمزاولة أي نشاط، ألا تكون هناك خلوة محرمة، فلا تجوز مثلاً خلوة الطبيب بممرضته، ولا المدرس بتلميذته... إلخ.

٤- التزام الأدب والعفة.

وذلك بالمحافظة على أدب السلوك في المعاملة والكلام، وقد أرشد الله نساء النبي ﷺ إلى هذا السلوك القويم، فقال: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾.

٥- ألا تخرج متعطرة.

والمنع من ذلك ليس منعًا للمرأة من زينة الدنيا، ولكن حتى تأمن الفتن ولا يطمع فيها فاسق، فإن كانت في بيتها فلتتزين ولتتعطر ما شاءت؛ لأنه البيت الآمن من الفتن، بل إن الإسلام يمنعها من الطيب ولو قصدت

بخروجها المسجد؛ لقوله ﷺ: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا». [رواه مسلم].
وقال: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية». [رواه النسائي وابن حبان في صحيحيهما والحاكم، وقال: صحيح الإسناد عن أبي موسى الأشعري، وروى مثله أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح].

٦- عدم التزين بما يفتن.

كلباس الشهرة والملابس الزاهية واللاصقة والكاشفة، ولذلك جاء التوجيه بخروجهن تفلات، أي غير متطيبات أو في ملابسهن القديمة. قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات». [رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة].

٧- البعد عن مزاحمة الرجال.

يجب على المرأة أن تبتعد عن الأماكن التي يزدحم فيها الرجال؛ لأن ذلك مثار الفتن، خاصة في الأسواق ومخارج المساجد، فقد رأى النبي ﷺ اختلاط النساء بالرجال عند خروجهن من المسجد فقال: «استأخرن، فليس لكنّ أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها يلصق بالجدار من لصوقهن به. [رواه أبو داود].

ولذلك أفتى أبو حنيفة بأن المرأة إذا وقفت بين الرجال في الصلاة أو وسط الرجال بطلت صلاتهم.

٨- الأمن عليها من الفتنة والفساد.

لو عرف أن المرأة لو خرجت من بيتها لم يؤمن عليها من الفساد، كوجودها في مكان موحش لا أمن فيه عليها أو في وقت يكثر فيه التعرض للحرمات، كالعمل في وسط فاسد أو في أوضاعه أو العاملين فيه؛ لعدم وجود حصانة من دين أو خُلق عندها أو عند من تعمل عنده وعدم وجود قوة أو ضمانات تحمي من الفساد، فلا يجوز لها الخروج.

ومن أجل الفساد الموجود في كل عصر وقع الخلاف بين أصحاب النبي ﷺ في الإذن للنساء بالخروج إلى المسجد، فكان بعض الصحابة ينظرون إلى المأثور عن النبي ﷺ في الإذن لهن فيقفون عند النص وبعضهم يقدر الظروف وينظر إلى علة الإذن فيرى المنع.

وكان من الفريق الأول عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما، ففي البخاري عن عبدالله بن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول الرسول ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله المساجد»، وكان عمر ينظم الأمر ويجعل بابًا للنساء، ومنع الرجال من الاقتراب منه.

وكان من الفريق الثاني أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابنا عبدالله بن عمر (واقد وبلال)، وقد تقدم حديث عائشة في ذلك: لو أن الرسول ﷺ رأى ما أحدث النساء من بعده لمنعهن المساجد.

٩- عدم ضياع واجب.

لا تخرج المرأة من بيتها إذا ترتب على خروجها ضياع واجب عليها لربها أو لزوجها أو لأولادها، فالتفريط في الواجب حرام، وكل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام.

والله من وراء القصد.

○○○

ويبقى الود.. ما فقهِ النساء

بقلم:
حسين إبراهيم الدسوقي

في كثير من المنازعات الأسرية يكون تنازل المرأة عن كبريائها وتقديمها لحق ربها وزوجها على حقها حلاً للتنازع ودافعًا للتفاهم بدلاً من الجدال، ويصير الود والوئام بديلاً عن النزاع والخصام، التي تتعقد فيها المسائل وتُخلق فيها المشاكل، ورحم الله من قال:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضبُ
فإني رأيت الحب في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

ترى كم يُكلِّف هذا السلوك المرأة حتى تشتري به مرضاة ربها وسعادة بيتها؟!

قال رسول الله ﷺ: «نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود، العئود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها لتقول: لا أذوق غُمضًا حتى ترضى». [حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٧)].

فبعبارة الود والبر: «لا أذوق غمضًا حتى ترضى» وبطلاقة الوجه وعذوبة اللسان تكسب المرأة رضا ربها وجنته.

وإن بدا هذا السلوك في ظاهر حاله انكسارًا أو ذلاً، لكنه عين العزة والكرامة عند ربها. قال ﷺ: «وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». [مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة].

ثم لما صبرت وخالفت نفسها الأمارة بالكبرياء والعزة، وأخضعتها لزوجها طاعة لله ورسوله ﷺ، أخضع الله لها قلب زوجها، فملكته وتربعت على عرشه.

فإن بدت ذليلة لزوجها، فحقيقة أمرها أنها عزيزة عليه، ملكت قلبه وبيته، وما أصدق كلام هذه المرأة وهي تنصح ابنتها ليلة عرسها: «كوني له أَمة، يكن لك عبدًا».

أختاه: إن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، فإحسانك لزوجك كسب لقلبه وودِّه، فوق ما في قلبه من المحبة والمودة والرحمة تجاهك، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فكلاكما أصل واحد، نفس واحدة، وما خلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام إلا لتكون المرأة جزءًا من زوجها، وحاجة كل منهما للآخر حاجة الجزء إلى الكل. فهو أقرب الناس إليها، وهي أقرب الناس إليه.

أختاه: ماذا تقولين في زوج ترك كل النساء واختارك؟!

فهل بعد هذا يمكن أن تشتكي الزوجة طبعًا في زوجها أو خُلُقه؟!

إن من النساء من تتصور أنها قد تزوجت مَلَكًا، فإذا ما رأت من زوجها ما تكره، اصطدم خيالها بصخرة الواقع فتحطمت المودة والرحمة بينهما لتدب الخلافات والمنازعات.

ونسيتِ أختنا أننا كلنا يخطئ ويصيب، ومهما يكن زوجك ذا دين وخلق فلن يكون مَلَكًا مقربًا.

يقول النبي ﷺ: «لا يفرك- لا يبغض- مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر». [مسلم].

وإن كان هذا الحديث موجهًا للزوج فأنتِ كذلك، إن كرهت من زوجك خلقًا رضيتِ منه خلقًا آخر؛ لتستقيم الحياة بينكما وتدوم العشرة في ظل السعادة بالالتزام بشرع الله عز وجل.

لا تخدعونا

شعر: حسن أبو الغيط

دنيا التناقض مسرحُ فيه العجائب تسرح
لا تخدعونا بالكلام فكم فعالٍ تفضَح
حاربتمو الدين الذي هَو كم يجود وينفَح
وضربتمو الضعفَ البريءَ بكم سلاحٍ يجرح
جربتمو فينا وما زلتم هنا لم تبرحوا
خرّبتمو الأرض التي هي للسما تتفتح
أجريتمو دمنا بحارًا فافرحوا ثم اسبحوا
لكنْ حذارِ أنَ يُرى للغربَ فينا مصلح
أو أن يقال تحضَر هو هاهنا وتفتح
أو أن يقال هو الأساس كما يقول وينبح
يكفى خداعًا إننا زمنًا هنا نستوضح
يكفى ادعاءً كم بنا قد كان ذا لو نشرح
بالشرق كان ولم يكنْ بسواه ذا يستفتح
الآن ينكر لا يرَى للغير شيئًا يَصْلُح
الآن يطغى ظلمه وظلامهُ يتبجح
عجبًا... وليس يهمُّهُ ما نستباح ونذبح
يا ظالمون... وكلكم بالعدل ظلّ يلوح
يا أيها الكبراء يا من بالظلام تَسلَّحوا
يا أيها الجبناء لو لم تختفوا لم تفلحوا
وفلاحكم في هذه ليس الذي هو مطمح
لن تفلحوا يوم القيامةِ هكذا لن تنجحوا
ولسوف يندم كل من بالكبر كان يُجنِّح
أمسَى الذين تَكبروا وتجبروا ما أصبحوا
خسروا بما ظلموا ولو ربح بدا.. لم يَربَحوا
هم هاهنا لكن هناك لهم وجوه أقبح
ولسوف نعمل كل ما في وُسْعِنا كي ينزحَوا

الأخلاق في الإسلام

بقلم: محمد عاطف التاجوري

الأخلاق: جمع خلق- بضم اللام، وقد تسكن- والخلق لغة هو العادة والسجية والطبع.

وجاء في «لسان العرب»: الخلق- بضم اللام وسكونها- وهو الدين والطبع والسجية.

وقد ورد لفظ «خلق» فى القرآن الكريم على حالتين؛ أولاهما في معرض المدح، والأخرى في معرض الذم، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وصفا لخلق رسول الله ﷺ بالعظمة، ووصفت عائشة رضى الله عنها خلق الرسول ﷺ كما جاء فى صحيح مسلم أن سعد بن هشام سألها : يا أم المؤمنين أفتيني؟ عن خلق رسول الله ﷺ قالت : أليس تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن . ولا أعظم من أن يتمثل الرسول ﷺ القرآن فى اخلاقه.

وفى قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٣٧] تقبيح لخلق الجبابرة الظالمين من قوم عاد كما جاءت في الآيات التي قبل هذه الآية.

والأخلاق في الإسلام هي التي ترتكز على الدين الإسلامي فهي مستنبطة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، أما الأخلاق في المذاهب المغايرة للإسلام، فقد ارتكزت على الفلسفة وحدها التي ترتكز على العقل البشري فقط، ولذلك نجد أنها تخبطت كثيرًا.

المؤلفات الإسلامية في مجال الأخلاق:

وقد جمع عدد كبير منها في موسوعة «نضرة النعيم» (١\٧١- ٧٥)، فمنها كتاب الزهد لابن المبارك، وكتابا الزهد والورع لأحمد بن حنبل، وكتاب الأدب المفرد للبخاري وعدة مؤلفات لابن أبي الدنيا مثل الإخلاص والأمر بالمعروف والحذر والشفقة وذكر الموت وذم الغضب، والنسائي وله عمل اليوم والليلة، وأبو بكر الخرائطي وله مكارم الأخلاق ومعاليها ومساوئ الأخلاق ومذمومها، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وشعب الإيمان للبيهقي، وصفة الصفوة، وصيد الخاطر لابن الجوزي، وغير ذلك كثير.

فالأخلاق يمكن أن تكتسب، ولكنها لا بد أن تتحول إلى طباع طيبة في النفس وعادة وسجية، وهذا يحتاج إلى بذل.

وقد بشرنا الرسول ﷺ في العديد من الأحاديث بثواب حسن الخلق، ومنها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». رواه الترمذي (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن، وصححه ابن حبان (١٩١٧).

ومن الأخلاق الكريمة التي يحسن أن نشير إليها ونتحدث عنها التواضع:

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، كتاب الرقاق باب التواضع، حديثين:

نكتفي بالحديث الأول: عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، وقالوا: سُبقت العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «إن حقًا على اللَّه ألا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه».

والحديث رواه البخاري أيضًا في كتاب الجهاد باب: ناقة النبي ﷺ، وفي الشرح لابن حجر من رواية شعبة: سابق رسول الله ﷺ أعرابي، وفيه أن القعود بفتح القاف ما استحق الركوب من الإبل. قال الجوهري: هو البكر حتى يركب وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل السادسة فيسمى جملاً، وقال الأزهري: لا يقال إلا للذكر ولا يقال للأنثى: قعودة. وإنما يقال لها: قلوص.

وحاصل كلام العلماء في هذا الحديث أن مسابقة الأعرابي للنبي ﷺ وموافقة النبي ﷺ على ذلك تعد تواضعًا منه ﷺ، فهذا أعرابي من عوام الناس يسابق النبي المجتبى والمصطفى، ويسابقه على قعود من الإبل لم يبلغ بعد سن الجمال، ويسبق قعود الأعرابي ناقة النبي ﷺ العضباء، ويشق ذلك على المسلمين، ويعلن النبي ﷺ أنه لا حرج في ذلك كله، ذلك أنه من سنن الله الكونية ألا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه، فلا يظل المرتفع مرتفعًا إلى الأبد، واللَّه تعالى يقول في الحديث القدسي كما روى عنه رسول الله ﷺ: «العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته». رواه مسلم في كتاب البر باب تحريم الكبر، وأخرجه أحمد بلفظ: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني في شيء منهما ألقيه في النار». وأخرجه الحاكم بلفظ: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته». وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا.

وقد ورد في الحث على التواضع عدة أحاديث صحيحة، منها حديث عياض بن حمار يرفعه: «إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد». أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما، ومنها حديث أبي هريرة يرفعه: «وما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه». أخرجه مسلم أيضًا والترمذي، ومنها حديث أبي سعيد بلفظ: «من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين». الحديث أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان. اهـ.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى
بالمركز العام

محمد صفوت نور الدين
د. جمال المراكبي

شارك في الإجابة:
زكريا حسيني
مجدي عرفات

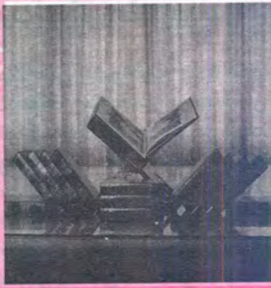

النبي ﷺ لم يخص صلاة الفجر بدعاء القنوت!!

يسأل إبراهيم سعيد محمد- كفر سعد- دمياط:

هل كان النبي ﷺ يقنت في صلاة الفجر، وإذا كان لم يقنت فما أصل قنوت الفجر؟

والجواب: لفظ القنوت له معان عديدة، فالقنوت يأتي بمعنى الطاعة، وبمعنى القيام أو طول القيام، وبمعنى الخشوع، وبمعنى السكوت، وبمعنى الدعاء. وقد ذكر ابن العربي أن القنوت ورد لعشر معان، وقد نظمها الحافظ العراقي في أبيات نقلها الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، ولكن هل كان النبي ﷺ يقنت في الفجر يدعو بعد الركوع؟ وهل كان يخصها وحدها بالقنوت؟

لا شك أن النبي ﷺ قنت في صلاة الفجر، وقنت في غيرها من الصلوات أيضًا، ففي «صحيح البخاري» عن أنس رضي اللَّه عنه قال: كان القنوت في المغرب والفجر. (البخاري، ك الأذان ح٧٩٨).

وسُئل أنس رضي اللَّه عنه: أَقَنَتَ النبي ﷺ في الصبح؟ قال: نعم. فقيل له: أوَقَنَتَ قبل الركوع؟ قال: بعد الركوع يسيرًا. (البخاري، ك الوتر ح١٠٠١).

وكان أبو هريرة رضي اللَّه عنه يقول: لأُقرِّبَنّ صلاة رسول اللَّه ﷺ، فكان أبو هريرة يقنت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعدما يقول سمع اللَّه لمن حمده، فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار. (البخاري، ك الأذان ح٧٩٧).

وكان رسول الله ﷺ حين يقول سمع اللَّه لمن حمده ربنا ولك الحمد يدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول: «اللهم أنج الوليد ابن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مُضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» وأهل المشرق يومئذ مخالفون له. (البخاري ح٧٩٧، ٨٠٤).

وصح عنه ﷺ أنه قنت شهرًا يدعو على بعض قبائل العرب. وعن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». «صحيح سنن النسائي».

وواضح من هذه النصوص أن النبي ﷺ لم يكن يخص صلاة الفجر بدعاء القنوت كما يفعل كثير من الناس، ولهذا ذهب جمهور

أهل العلم إلى أن القنوت في النوازل في كل الصلوات، أما في غير النوازل فلا يشرع القنوت، وذهب بعض أهل العلم إلى أن القنوت كان مشروعًا ثم نسخ، والأول أرجح.

أما من ذهب إلى قنوت الفجر كالشافعي رحمه الله فاستدل على ذلك بحديث أنس بن مالك: مازال يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا.

وقد حمل جمهور أهل العلم القنوت هنا على معنى طول القيام. ولا شك أن النبي ﷺ كان يطيل صلاة الفجر أكثر من غيرها، أما أنه ﷺ كان يخص الفجر بهذا الدعاء في كل يوم ويرفع صوته ويؤمن المأمومون على دعائه ثم لا ينقل لنا ذلك بسند صحيح ولا ضعيف، فهذا بعيد جدًا.

بل صرح بعض أصحاب النبي ﷺ بأن قنوت الفجر مُحدث كما في المسند وسنن ابن ماجه بسند صحيح عن أبي مالك الأشجعي، سعد بن طارق قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك قد صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي هاهنا بالكوفة نحوًا من خمس سنين، فكانوا يقنتون في الفجر؟ فقال: أي بني محدث.

نسيان عدد الرضعات لا يؤثر ما دام قد ثبت الرضاع!!

يسأل الأخ سليمان سعيد سليمان- إتياي البارود- بحيرة:

يقول: رضعت بنت خالي من أمي مع أختي الأصغر مني، فهل يجوز لي الزواج منها. ويقول: إن أمه نسيت عدد الرضعات ثلاث أو أربع أو خمس؟

والجواب: ما دامت ابنة خالك رضعت من أمك فهي بنتها من الرضاع وتعتبر أختًا لك ولسائر أولاد أمك التي أرضعتها، ولا عبرة بتحديد من رضعت معه من أولاد من أرضعتها.

ومعنى الاجتماع على الثدي غير مقيد بوقت، فأنت وهي اجتمعتما على ثدي أمك، ولو كان بين رضاعك ورضاعها خمس سنوات أو أكثر أو أقل، فليعلم ذلك.

وأما نسيان عدد الرضعات فلا يؤثر ما دام أصل الرضاع قد ثبت؛ فالأحوط ترك الزواج بها اتقاءً للشبهة. والله أعلم.

حلق اللحية مشابهة للمشركين!!

ويسأل: صلاح عبد الكريم خير الدين- قرية المرازقة- بلطيم- كفر الشيخ:

عن حكم: أ- اللحية وتقصير الثياب.

ب- المصافحة بعد الصلاة وقول: «تقبل الله»؟

والجواب: أولاً بالنسبة لحكم اللحية: إعفاؤها واجب؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «خالفوا المشركين؛ وفروا اللحى وأحْفوا الشوارب». رواه البخاري ومسلم. ولحديث أبي هريرة: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس». رواه مسلم وأحمد.

ففي حلقها مشابهة للمشركين والمجوس، ونحن منهيون عن مشابهة هؤلاء وأولئك، فهو غير جائز. والله أعلم.

وأما تقصير الثياب : فقد وردت الفتوى عنه مفصلة في عدد رمضان ١٤٢٢هـ فليرجع إليها.

مصافحة المسلم لأخيه المسلم من السنن المستحبة

ثانيًا: مصافحة المسلم لأخيه من السنن المستحبة، وكذلك الدعاء له بأن يتقبل الله عمله من الأمور المندوب إليها، ولكن تخصيص كل منهما عقب الصلوات والمداومة عليها من البدع المستحدثة، إذ لم يثبت أن النبي ﷺ فعل ذلك أو داوم عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم، بل كان هديه ﷺ أن يستغفر الله ثلاثًا ويقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. والله أعلم.

هذا الاقتراض نوع من أنواع التعامل بالربا!!

ويسأل: ياسر عبده- شبرا:

عن حكم: أ- الاقتراض من البنك بفائدة؟

ب- إعطاء مال لبعض الأشخاص لتسهيل قضاء بعض المصالح في الجهات الرسمية؟

والجواب: أ- الاقتراض بفائدة من البنوك من أنواع التعامل بالربا، والربا محرم شرعًا بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة. والله أعلم.

ب- وأما إعطاء شخص موظف مالاً لينهي معاملات الناس، ومن لم يعط لا تقضي معاملته وتتأخر، فهذا جائز إذا كان صاحب الحق لا يحصل على حقه إلا بدفع هذا المال، وحينئذ يكون الإثم على الموظف الآخذ.

قال ابن الأثير: الراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي الآخذ، والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا أو يستنقص لهذا، فأما ما يعطي توصلاً إلى أخذ حق أو دفع ظلم فغير داخل فيه. رُوي أن ابن مسعود أُخذ بأرض الحبشة في شيء فأعطى دينارين حتى خلى سبيله. ورُوي عن جماعة من أئمة التابعين قالوا: لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم. اهـ «تحفة الأحوذي» (٤\٤٧١).

عليك أن تتوب إلى الله!!

ويسأل الأخ: م. أ. ع- طالب بإحدى الكليات:

عن الوساطة في الامتحانات وزيادة الدرجات للطلاب الأقارب؟

والجواب: أن الأمانة العلمية لدى المسلم تقتضي العدل في منح الدرجات، وإعطاء كل ذي حق حقه مهما قرب أو بعد، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وأما ما سبق أن حصلت عليه من درجات زيادة بسبب أخيك أو قريبك فعليك أن تتوب إلى الله وتستغفره ولا تعود لمثلها. والله الموفق.

زواج الأقارب لم ينه عنه الشرع!!

ويسأل: أ. م- من أسيوط- عن:

أ- تقدم ابن أخيه للزواج بابنته وهو في الوقت نفسه ابن خالتها، وهناك شبهة رضاع بين هذا الشاب وابنه (أخي الفتاة)، كما أن هناك خلافا بين نساء الأسرة حول عدد مرات الرضاع؟

ب- حكم الشرع في زواج الأقارب؟

جـ- إكراه الوالد ابنته على الزواج؟

والجواب: أولاً: إن كان هذا الشاب (ابن أخيك) هو الذي رضع من امرأتك فقد أصبحت ابنتك أخته من الرضاع، وحينئذ لا يجوز له أن يتزوجها، ولا عبرة باختلاف أقوال النساء في عدد مرات الرضاع، وذلك عملاً بقاعدة الأحوط لدين المرء.

وأما إن كان ابنك (أخو الفتاة) هو الذي رضع من أم هذا الشاب (ابن أخيك) فهذا الرضاع لا يؤثر وتحل له ابنتك ولا حرج في ذلك.

ثانيًا: زواج الأقارب، لم يأت فيه نهي في الشرع، فقد تزوج النبي ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش، كما زوج ابنته فاطمة عليَّ بن أبي طالب. إلى غير ذلك.

لا يجوز للأب إكراه ابنته على الزواج!!

ثالثًا: لا يجوز للأب أن يكره ابنته على الزواج بمن لا ترغب الزواج به، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت». متفق عليها.

ففي هذا الحديث النهي عن تزويجها بغير إذنها. والله أعلم.

الصلاة على الكرسي لا تقطع الصف!!

ويسأل : م . ع . م من الحلة الكبرى غربية
عمن يصلي جالساً على كرسي في الصف الأول خلف الإمام ؛

والجواب :

أن الصلاة جالساً على كرسي أو على الأرض لا تقطع الصف والصلاة صحيحة ، وسواء كان ذلك خلف الإمام أو في طرف الصف ، ولكنه لا يجوز له أن يحجز المكان بالكرسي ، بل يصلي حيث أتيح له المكان حسب حضوره إلى المسجد، والله أعلم.

هذا العمل استهزاء بالله !!

س: ما حكم من يمزح بكلام فيه استهزاء بالله أو الرسول ﷺ، أو الدين؟

الجواب: هذا العمل وهو الاستهزاء بالله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو دينه، ولو كان على سبيل المزح، ولو كان على سبيل إضحاك القوم كفر ونفاق، وهو نفس الذي وقع في عهد النبي ﷺ، في الذين قالوا: «ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء». يعني رسول الله ﷺ، وأصحابه القراء، فنزلت فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، لأنهم جاءوا إلى النبي ﷺ يقولون: إنما كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمره الله به: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. فجانب الربوبية، والرسالة، والوحي، والدين جانب محترم، لا يجوز لأحد أن يعبث فيه لا باستهزاء بإضحاك، ولا بسخرية فإن فعل فإنه كافر؛ لأنه يدل على استهانته بالله عز وجل ورسله وكتبه، وشرعه، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله عز وجل مما صنع، لأن هذا من النفاق فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفر، ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية الله عز وجل وتعظيمه وخوفه ومحبته. والله ولي التوفيق.

حكم الحلف بالنبي والكعبة

س: ما حكم الحلف بالنبي ﷺ، والكعبة، والشرف، والذمة، وقول الإنسان: «بذمتي»؟

الجواب: الحلف بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز، بل هو نوع من الشرك، وكذلك الحلف بالكعبة لا يجوز، بل هو نوع من الشرك؛ لأن النبي ﷺ، والكعبة كلاهما مخلوقان، والحلف بأي مخلوق نوع من الشرك.

وكذلك الحلف بالشرف لا يجوز، وكذلك الحلف بالذمة لا يجوز؛ لقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». [أخرجه الترمذي، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)].

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». [أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦)].

لكن يجب أن نعلم أن قول الإنسان: «بذمتي» لا يراد به الحلف ولا القسم بالذمة، وإنما يراد بالذمة العهد، يعني هذا على عهدي ومسئوليتي، هذا هو المراد بها، أما إذا أراد بها القسم فهي قسم بغير الله، فلا يجوز، لكن الذي يظهر لي أن الناس لا يريدون بها القسم، إنما يريدون بالذمة العهد، والذمة بمعنى العهد.

لا يجوز التوفيق بين الزوجين بالسحر !!

س: ما حكم التوفيق بين الزوجين بالسحر؟

الجواب: هذا محرم ولا يجوز، وهذا ما يسمى بالعطف، وما يحصل به التفريق يسمى بالصرف، وهو أيضًا محرم، وقد يكون كفرًا وشركًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾.

أجاب عليها

سماحة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

كل شيء له أثر بطريق خفي فهو من السحر

س: ما هو السحر، وما حكم تعلمه؟

الجواب: السحر قال العلماء: هو في اللغة عبارة عن كل ما لطف وخفي سببه. بحيث يكون له تأثير خفي لا يطلع عليه الناس، وهو بهذا المعنى يشمل التنجيم، والكهانة، بل إنه يشمل التأثير بالبيان والفصاحة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحرًا». [أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٤)].

فكل شيء له أثر بطريق خفي فهو من السحر.

وأما في الاصطلاح فعرفه بعضهم بأنه: «عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب، والعقول، والأبدان، فتسلب العقل، وتوجد الحب والبغض فتفرق بين المرء وزوجه، وتمرض البدن، وتسلب تفكيره».

وتعلم السحر محرم، بل هو كفر إذا كانت وسيلته الإشراك بالشياطين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فتعلم هذا النوع من السحر- وهو الذي يكون بواسطة الإشراك بالشياطين- كفر، واستعماله أيضًا كفر وظلم وعدوان على الحق، ولهذا يقتل الساحر إما ردة، وإما حدًا، فإن كان سحره على وجه يكفر به فإنه يقتل ردة وكفرًا، وإن كان سحره لا يصل إلى درجة الكفر فإنه يقتل حدًا لشره وأذاه على المسلمين.

حكم تعليق الصور على الجدران

س: ما حكم تعليق الصور على الجدران؟

الجواب: تعليق الصور على الجدران ولا سيما الكبيرة منها حرام، حتى وإن لم يخرج إلا بعض الجسم والرأس، وقصد التعظيم فيها ظاهر، وأصل الشرك هو هذا الغلو، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في أصنام قوم نوح التي يعبدونها: إنها كانت أسماء رجال صالحين صوروا صورهم ليتذكروا العبادة، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. [أخرجه البخاري (٤٩٢٠)].

حكم العمل مع الكفار!!

س: فضيلة الشيخ، شخص يعمل مع الكفار فبماذا تنصحونه؟

الجواب: ننصح هذا الأخ الذي يعمل مع الكفار، أن يطلب عملاً ليس فيه أحد من أعداء الله ورسوله ممن يدينون بغير الإسلام، فإذا تيسر فهذا هو الذي ينبغي، وإن لم يتيسر فلا حرج عليه لأنه في عمله وهم في عملهم، ولكن بشرط أن لا يكون في قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة، وأن يلتزم ما جاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورد السلام ونحو هذا، وكذلك أيضًا لا يُشيع جنائزهم، ولا يحضرها، ولا يشهد أعيادهم، ولا يهنئهم بها مع بذل الاستطاعة في دعوتهم إلى الإسلام.

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

الحلقة الرابعة

بقلم: معاوية محمد هيكل

خامساً: النهي عن التشبه بالمشركين وأهل الجاهلية

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وأحمد والطبراني وحسنه الألباني.

ففي هذا الحديث ظن بعض الصحابة أن تعليق سيوفهم كما يفعل المشركون يجلب لهم النصر على عدوهم فنهاهم وحذرهم عليه الصلاة والسلام من مشابهتهم، وبيّن لهم أنه لا يجوز للعبد أن يطلب المدد والبركة والنصر والعون من غير الله؛ لأن هذا شرك به سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام: فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك؛ من مشابهتهم المشركين في الشرك بعينه؟ فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو قناة جارية أو جبلاً أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها أو ليقرأ أو ليذكر الله عندها أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا.

سادساً: إعلان النكير على الكهنة والعرافين

لقد استأثر الله تبارك وتعالى بعلم الغيب وحده وأثبته لنفسه ونفاه عن سائر الخلق أجمعين فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح.

قال تعالى: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولقد أعلن الإسلام النكير على الكهنة والدجالين والعرافين، فقال ﷺ محذرًا الأمة منهم ومن شرهم: «من أتي عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد». رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٤٢).

ولما سئل النبي ﷺ عن العرافين قال: «ليسوا بشيء». رواه البخاري (٦٢١٣). وذلك تحقيرًا لشأنهم وحطًا من قدرهم.

ولما شك الصحابة في «ابن صياد اليهودي» الذي كان يسكن المدينة، وظنوه الدجال الذي حدث عنه الرسول ﷺ، وأخذ الرسول ﷺ معه جماعة وزاره في منزله، قال له الرسول مختبرًا: «لقد خبأت لك خبئًا». وكان الرسول الله ﷺ قد أضمر في نفسه «سورة الدخان»، فسأله الرسول ﷺ عما في نفسه، فقال عدو الله: «هو الدخ»، ولم يستطع أن يكمل الكلمة، فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»- أي لن تتعدى كونك كاهنًا تتصل بالجن، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «كيف ترى؟» قال: يأتيني أحيانًا صادقًا وكاذب، أي تأتيه أخبار من الشيطان صادقة أحيانًا، وكاذبة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «قد لُبس عليه». رواه البخاري ومسلم.

وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان من الممكن أن يسترق السمع ويطلع على ما في نفس المؤمن ويخبر وليه من الأنس، فإن صدق مرة كذب معها مائة مرة، وإننا مأمورون ألا نصدق من الغيب إلا ما أتانا من طريق الله، ومن طريق رسول الله ﷺ فقط.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

تحذير الداعية من القصص الواهية

بقلم: علي حشيش

الحلقة السادسة عشرة

قصة حج آدم عليه السلام

في كتاب «قصص الأنبياء» المسمى «العرائس» لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ باب «صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا» (ص٩٥) قال:

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد الفراني، أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربي بمكة، حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل [الجندي]، حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني، حدثنا أبو همام، حدثنا محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة، والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة، وإن الله تعالى أهبط آدم عليه السلام إلى موضع الكعبة، وهو مثل الفلك من شدة رعدته، وأنزل عليه الحجر الأسود، وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء، فأخذه آدم وضمه إليه استئناسًا به، ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر، ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا، ثم قال: يا آدم تخط، فتخطى، فإذا هو بأرض الهند، فمكث هناك ما شاء الله أن يمكث، ثم استوحش البيت، فقيل له: حج يا آدم، فأقبل يتخطى، فصار موضع كل قدم قريةً، وما بين ذلك مفاوز، حتى قدم إلى مكة. فقال آدم: يا رب اجعل لهذا البيت عمارًا يعمرونه من ذريتي، فأوحى الله تعالى إليه: إني معمره بنبي من ذريتك اسمه إبراهيم أتخذه خليلاً أقضي على يديه عمارته، وأنيط له سقايته، وأورثه حله وحرمه ومواقفه، وأعلمه مشاعره ومناسكه، فلما فرغ من بنائه نادى: يا أيها الناس، إن الله تعالى بنى بيتًا فحجوه، فأسمع من بين الخافقين، فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقول: لبيك لبيك»، وقال ﷺ: «إن آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال: يا رب، أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئًا أن تلحقه بي في الجنة، فقال الله تعالى: يا آدم، من مات في الحرم لا يشرك بي شيئًا بعثته آمنًا يوم القيامة».

قلت: لمَّا كان هذا الكتاب مشهورًا، واسع الانتشار، لميل الكثير من الوعاظ والخطباء إلى

القصص، كان لا بد من تحقيق هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة، واللهَ أسأل أن يوفقنا لتخريج وتحقيق أحاديثه؛ لأن الثعلبي في كتابه هذا وفي الأعم الأغلب يذكر الآيات المتعلقة بالقصة ثم يفسرها بأحاديث تحتوي على قصص واهية- غالبًا- لذلك قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣\٣٥٤): «والثعلبي هو نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع».

والكتاني في «الرسالة المستطرفة» (ص٥٩) لم يكن متجنيًا على الثعلبي؛ إذ يقول عند الكلام على الواحدي المفسر: «ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيريهما، وخصوصًا الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة». اهـ.

قلت: وهذه القصة التي ذكرها الثعلبي منها، والحديث الذي جاءت فيه موضوع.

التخريج والتحقيق

هذه القصة أخرج حديثها كما بيَّنا الثعلبي في «قصص الأنبياء» (ص٩٥)، وأخرجها ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٢\٥٧٠) (ح٩٣٧) من طريق المفضل بن محمد الجندي به، ولذلك قال السيوطي في «الدر المنثور» (١\١٣٣) أخرجه الجندي عن ابن عباس مرفوعًا.

استنتاج

أولاً : نستنتج من تخريج هذه القصة أنها لم ترو عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، وبما أن القصة لا تعرف إلا من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، إذًا الحديث الذي جاءت فيه القصة عند علماء هذا الفن من نوع «الفرد المطلق».

قاعدة هامة في علم المصطلح التطبيقي

قال الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (٤\٤): «الفرد المطلق: وهو الحديث الذي لا يعرف إلا من طريق ذلك الصحابي ولو تعددت الطرق إليه».

تفرد به محمد بن زياد، وهو علة هذه القصة.

ثانيًا: بالبحث عن الراوي محمد بن زياد الذي لم يأت في السند إلا باسمه واسم أبيه:

١- وجدت أن من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم في «التهذيب» (٩\١٤٨- ١٥٢) ممَّن اسمه محمد بن زياد سبعة من رقم (٢٥٠) حتى رقم (٢٥٦).

٢- وفي «الميزان» (٣\٥٥١- ٥٥٤) بلغ عددهم ستة عشر من رقم (٧٥٤٤) حتى رقم (٧٥٥٩).

٣- وبالبحث عن مراتب من ذُكرت أسماؤهم في «التهذيب»، و«الميزان» وجدتهم بين: ثقة، وصدوق، ومقبول ومجهول، وضعيف، بل وكذاب.

إذن الباحث أمام هذا العدد من المشتركين في اسم الراوي واسم أبيه مع اختلاف مراتبهم يركز بحثه حول تحديد الراوي صاحب هذه القصة.

وهذا فن هام جدًا؛ لذلك أفردوه بنوع خاص، فقد ذكره ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» (ص٥٥٢)، فقال: النوع الرابع والخمسون: معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب ونحوها، ثم عرفه فقال: «هذا النوع متفق لفظًا وخطًا، وهذا من قبيل ما يسمى في أصول الفقه «المشترك»، وزلق بسببه غير واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط في كل علم».

وقال السخاوي في «فتح المغيث» (٤\٢٦٩): «المتفق والمفترق: وهو نوع جليل يعظم الانتفاع به. وفائدة ضبطه الأمن من اللبس، فربما ظن الأشخاص شخصًا واحدًا، وربما يكون أحد المشتركين ثقة والآخر ضعيفًا فيضعف ما هو صحيح ويصحح ما هو ضعيف». اهـ.

ثالثًا: تطبيق قواعد المتفق والمفترق:

لقد بيَّنا أن علة القصة هو محمد بن زياد، واشترك في اسم الراوي واسم أبيه عدد كثير فوق العشرة، ومن طرق التمييز بين المشتركين في الاسم: التمييز بشيخ الراوي إذا لم يشاركه فيه أحد من المشتركين في الاسم.

ومحمد بن زياد الذي هو علة هذه القصة شيخه هو ميمون بن مهران- كما بيَّنا في سند القصة- وبمعرفة الشيخ تميز محمد بن زياد راوي القصة من بين المشتركين في اسم الراوي واسم أبيه، حيث قال الذهبي في «الميزان» (٣\٥٥٢) (٧٥٤٧): «محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان يروي عن ميمون بن مهران وغيره».

وكذلك نسبه إلى شيخه ميمون الإمامُ المزيُّ في «تهذيب الكمال» (١٦\٢٨٢) (٥٨١٢) قال: محمد بن زياد اليَشْكُرِي الطحان الكوفي، ويقال: الجَنَدي

الأعور الفأفاء المعروف بالميمون.

رابعًا: مرتبته:

لقد قسم الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١\٤، ٥) المراتب إلى اثنتي عشرة مرتبة، بدأت بأعلى مراتب التعديل، وانتهت بأشد مراتب التجريح، وهي المرتبة الثانية عشرة: من أطلق عليه اسم الكذب والوضع.

محمد بن زياد من المرتبة الثانية عشرة (مرتبة الكذب والوضع).

البرهان

في «التهذيب» (٩\١٥١) قال عبد الله بن أحمد: سألته- يعني أباه- عن محمد بن زياد كان يحدث عن ميمون بن مهران؟ فقال: كذاب خبيث يضع الحديث. وقال أبو داود: سمعت أحمد يقول: ما كان أجرأه يقول حدثنا ميمون بن مهران في كل شيء.

وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ليس بشيء، كذاب.

وقال عمرو بن علي: متروك الحديث كذاب منكر الحديث، سمعته يقول: ثنا ميمون بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا: «زينوا مجالس نسائكم بالمغزل».

قلت: وهو نفْس طريق القصة.

وقال الجوزجاني: كان كذابًا. وقال أبو زرعة: كان يكذب.

قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣١٧): محمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران متروك الحديث.

قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٤٧): محمد بن زياد يروي عن ميمون بن مهران، متروك الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

قال ابن حبان في «المجروحين» (٢\٢٥٠): محمد بن زياد الجزري اليشكري يروي عن ميمون بن مهران، كان ممن يضع الحديث على الثقات ويأتي عن الأثبات بالأشياء المعضلات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار عند أهل الصناعة خصوصًا دون غيرهم. اهـ.

والبديل الصحيح لهذه القصة الواهية والمناسب لترجمة الباب ويكون صحيحًا وفيه بدء الحياة بمكة وصفة بناء الكعبة هذه القصة العظيمة التي أخرجها الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» (٦\٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨- فتح) (ح٣٣٦٤) في أربعة وخمسين سطرًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيها يجد القارئ:

١- مناسبة دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢- بيان بأصل السعي بين الصفا والمروة.

٣- بيان بأصل زمزم وكيف ظهر ماؤها.

٤- بيان حال البيت وكيف كان قبل البناء.

٥- أول قبيلة نزلت مكة عندما ظهر ماء زمزم وكيف تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

٦- بيان لأصول نسب الرسول ﷺ، هذا الأصل العظيم الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٢٢٧٦) كتاب الفضائل (ح١) من حديث واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

٧- بيان تعلم إسماعيل عليه السلام العربية وزواجه، والأمر بتثبيت عتبة بابه.

٨- الأمر ببناء الكعبة، فجعل إسماعيل عليه السلام يأتي بالحجارة وإبراهيم عليه السلام يبني، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وإليك عزيزي القارئ الحلقة الثانية من سلسلة: **صحح أحاديثك.**

○○○

١- «إذا خرج الحاج حاجًا بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور. وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز، فنادى: لبيك. ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور».

● **الحكم:** ليس صحيحًا. رواه الطبراني في «الأوسط» (٦\١٠٩) (٥٢٢٤)، والبزار كما في «الزوائد» (٦\٢) (١٠٧٩)، وسنده ضعيف جدًا؛ فيه سليمان بن داود اليماني. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث.

وله شاهد من حديث عمر رواه ابن عدي (١٠٦\٣)، وابن مردويه في ثلاث مجالس رقم (٤٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٣٠٠)، وسنده ضعيف، فيه أبو الغصن الدجين بن ثابت. قال يحيى: ليس بشيء. وقال النسائي: غير ثقة.

○ **البديل الصحيح:** «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك». أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة.

٢- «الدعاء مخ العبادة».

● **الحكم:** ليس صحيحًا. أخرجه الترمذي (٥\٤٢٥) (٣٣٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٤\١٣٢) (٣٢٢٠)، من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبانٍ إلا عُبيدُ الله، تفرد به ابن لهيعة».

قلت: وابن لهيعة ضعيف مدلس وقد عنعن، أورده السيوطي في «أسماء المدلسين» (رقم ٢٩).

○ **البديل الصحيح:** «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أخرجه الترمذي (ح٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وابن حبان (ح٢٣٩٦- موارد)، وأحمد (٤\٢٧١) (١٨٤١٦)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٣- «من طاف بالبيت أسبوعًا، وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت».

والمقصود بأسبوع أي سبعة أشواط.

● **الحكم:** ليس صحيحًا. أورده الشوكاني في «الفوائد» كتاب الحج (ح٧)، وقال: ذكره ابن طاهر في «تذكرة الموضوعات».

قلت: وأخرجه الواحدي في «تفسيره»، والجندي في «فضائل مكة» من حديث أبي معشر المدني عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعًا، وكذا أخرجه الديلمي في «مسنده»، كذا في «المقاصد الحسنة» (ح١١٤٤) للسخاوي، وقال: «ولا يصح، وقد ولع به العامة كثيرًا، وتعلقوا في ثبوته بمنام وشبهة مما لا تثبت الأحاديث النبوية بمثله».

٤- **لفظ الديلمي للحديث السابق:** «من طاف بالبيت أسبوعًا ثم أتى مقام إبراهيم فركع عنده ركعتين، ثم أتى زمزم فشرب من مائها أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

● **الحكم:** ليس صحيحًا. قال السخاوي في «المقاصد» (ح١١٤٤)، ولا يصح باللفظين.

٥- «حجوا، فإنَّ الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن».

● **الحكم:** ليس صحيحًا. أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٩٩٧)، وذكر في «المجمع» (٣\٢٠٩)، و«ضعيف الجامع» (٣\٩٣) (٢٦٩٥)، وقال الهيثمي: «وفيه يعلى بن الأشدق، وهو كذاب»، أورده ابن حبان في «المجروحين» (١٣\١٤١)، وقال: وضعوا له أحاديث فحدث بها ولم يدر، لا يحل الرواية عنه بحال، ولا الاحتجاج به بحيلة ولا كتاب إلا للخواص عند الاعتبار. اهـ. فالحديث موضوع.

○ **البديل الصحيح:** «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجَع كيوم ولدته أمه». متفق عليه من حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري- واللفظ له- من رواية سيَّار أبي الحكم عن أبي حازم عن أبي هريرة (ح١٥٢١)، وفي رواية منصور عن أبي حازم (ح١٨١٩، ١٨٢٠): «من حج هذا البيت»، ولمسلم (ح١٣٥٠) من طريق جريج عن منصور: «من أتى هذا البيت».

٦- «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء»، قالوا: يا رسول الله، فما جلاؤها؟ قال: «كثرة ذكر الله».

● **الحكم:** موضوع. أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١\٢٥٩- ٩١\٩١)، (ح٥\٢٨٣- ٤٥٣) (١٤٢١) بطريقين عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا ومن الطريق الأول أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢\٨٣٢) (١٣٩٠).

قلت: في الطريق الأول إبراهيم بن عبدالسلام عن عبد العزيز قال ابن عدي: يسرق الحديث، وفي الطريق الثاني عبدالرحيم بن هارون الغساني عن عبدالعزيز، قال الدارقطني: متروك يكذب، كذا في «الميزان» (٢\٦٠٧) (٥٠٣٩)، وأورد الذهبي له هذا الحديث، بلفظ: فما جلاؤها؟ قال: «قراءة القرآن». ومن طريق عبدالرحيم أخرجه أيضًا الخطيب (١١\٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨\١٩٧).

وله شاهد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧\٢٩- ١٥\١٩٦٨) من حديث النضر بن محرز عن محمد بن المنكدر عن أنس مرفوعًا: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار».

قلت: وعلته النضر بن محرز، أورده الذهبي في «الميزان» (٤\٢٦٢- ٩٠٨٥)، وقال: مجهول، ثم ذكر له هذا الحديث وجعله من مناكيره.

قلت: فالحديث علته سارق، والمتابع علته كذاب، والشاهد علته مجهول. فالمتابعات والشواهد بالنسبة لهذا الحديث تزيده وهنًا على وهن، كما هو مقرر في الأصول عند علماء هذا الفن، ولا يُنظر إلى قول القائل: «الحديث يتقوى بتعدد الطرق». فهذا القول مقيد وليس بمطلق.

○ **البديل الصحيح:** «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه، وإن عاد زِيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الرَّان الذي ذكر الله: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]». حسن لذاته. أخرجه الترمذي (٥\٤٠٤) (ح٣٣٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦\٥٠٨) (ح١١٦٥٢)، وابن ماجه (ح٤٢٤٤)، وابن حبان (ص٤٣٩- موارد) (ح١٧٧١)، (ص٦٠٧- موارد) (ح٢٤٤٨)، والحاكم (٢\٥١٧)، والطبراني في «تفسيره» (١٢\٥٢٧) (ح٣٦٦٢٦)، وأحمد (٢\٢٩٧) (ح٧٩٣٩)، والطبراني (ح٣٦٦٢٤) كلهم من طريق محمد بن عَجْلان عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا به. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

○○○

تهنئة

أسرة مجلة التوحيد تهنئ الشيخ علي حشيش للتفوق العظيم الذي أحرزه نجله: سيف الإسلام، وحصوله على المركز الأول على محافظة الدقهلية في مسابقة الخطابة لعام ٢٠٠٠\٢٠٠١م.

هو ذلك الحاج الذي قطع تلك الفيافي والقفار، أو تلك الأجواء أو تلك البحار، لكنه لم يخلص النية لله عز وجل، بل جاء إما ليقال الحاج فلان، أو لأن من يعرفهم حجوا، أو لسؤال الناس المال، أو لغرض من أغراض الدنيا.

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». أخرجه مسلم.

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الحاج الذي لبى وأهدى؛ لكن ماله حرام، أو يخالطه حرام، أو لم يتق الشبهات ولم يتورع عما ترتاب فيه النفوس المؤمنة.

وقد جاء في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»﴾. ثم ذكر «الرجل يُطيلُ السفر أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك».

الحاج الذي

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الحاج الذي يعلم أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني مناسككم». لكنه في الحقيقة لم يكلف نفسه أن يتبعه في ذلك عليه الصلاة والسلام، فلا يبحث عن سنته، ولا عن صفة حجه، بل اكتفى بما اعتاده أصحابه الذين معه حتى وإن كانوا عامة لا علم عندهم، ولربما أشكلت عليه مسألة فلم يبال من سأل عنها؛ فتراه يسأل شخصًا وهو لا يدري ما علمه، والله تعالى إنما قال: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ومن أراد طاعة الله فعليه بطاعة رسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الملبي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لكنه مع ذلك لا يحقق توحيده حق التوحيد، ولا يصفيه من الشوائب، فربما تبرك بما لا يجوز التبرك به، أو استشفع بمخلوق وإنما الشفاعة تطلب من مالكها وهو الله وحده سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

أو حلف بغير الله تعالى كالحلف بالنبي ﷺ أو بالحياة أو الأمانة، وقد زجر الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله فقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». أخرجه الترمذي وحسنه.

فمقتضى الإسلام والتوحيد ألا يصرف العبد شيئًا من العبادة لغير الله كالدعاء والذبح والنذر لا لقبر ولا لجن ولا لغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ

لم يحج!!

بقلم: فهد بن عبد الرحمن اليحيى

أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الحاج الذي لم يصن حجه عن اللغو والرفث والفسوق فأطلق للسانه العنان، ولنظره اللجام، ولم يتورع حتى في حجه عن بعض معاصيه التي ينبغي أن يكون الحاج لها قاطعًا ومانعًا.

وقد قال سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». متفق عليه.

فالحج فرصة عظيمة للتوبة والرجوع إلى الله، فحريٌ بالحاج أن يعاهد الله ألا يدنس صفحته التي يعود بها بحمد الله بيضاء نقية، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الحاج الذي لم يسلم المسلمون من أذاه ومزاحمته، بل ربما تعدى على حقوق إخوانه في مكان إقامتهم، أو مواقف سياراتهم، أو يؤذيهم برائحة أو نفاية، وكأن الخلق الحسن يرتفع في بعض الحالات والمواقف.

والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ورسوله ﷺ قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنهُ الناس على دمائهم وأموالهم». أخرجه الترمذي والنسائي بسند جيد.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس».

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك الذي يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. التي مقتضاها ألا يُعبد الله إلا بما شرع الله وجاء به رسول الله ﷺ؛ غير أنه قد يتعبد لله عز وجل بما لم يشرعه، فربما صعد الجبل في عرفات وأتعب نفسه ظنًا أنه في عبادة وليس كذلك، أو ربما بالغ في حصى الجمار، أو رماها بالخشب والنعال، ويحسب أنه يحسن صنعًا وقد أساء في العبادة وفي حق إخوانه المسلمين، والنبي ﷺ قد بيّن أن أعمالنا لا يقبل منها إلا ما كان موافقًا لسنته فقال: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ» أي: مردود.

الحاج الذي لم يحج!!

هو ذلك المحرم الذي استوى يوم حجه مع يوم نزهته، ويوم إحرامه مع يوم حِله، ولم يستشعر العبادة ولم يتذلل لله تعالى فيها، ولم يجاهد نفسه في ذلك، حتى في يوم عرفة الذي يدنو فيه الله عز وجل من خلقه دنوًا يليق بجلاله وعظمته سبحانه كما في الحديث: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء». أخرجه مسلم.

نسأل الله تعالى أن يجعل حجنا تامًا، وعملنا مقبولاً، وذنبنا مغفورًا، إنه قريب مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

إشهار

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالجيزة أن جماعة أنصار السنة المحمد فرع مدينة ٦ أكتوبر تم قيده تحت رقم (١٦٥٤) بتاريخ ٢٠٠١\١٢\٣١، وذلك وفقًا لأحكام القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤م ولائحته التنفيذية بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة.

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي

إعداد: علاء خضر

المؤلف: الإمـام الحـافظ المُجـود، المفـتي، أبو القـاسم، هبـة الله بن الحـسن بن منصـور الطبـري اللالكائي.

سـمـع العلم «بالري» من جـعـفـر بن عـبـد الله الفناكي، وعلي بن عـمـران القـصـار، وقـدم بـغـداد فاستوطنها ودرس الفقه الشافعي على أبي حامد الإسـفـرايني، وسـمـع عـيـسى بن علي، وروى عنه علماء كبار؛ منهم الخطيب البغدادي، وابنه أبو بكر محمد بن هبة الله اللالكائي.

قال عنه الخطيب البـغـدادي: كتبنا عنه وكان يفـهـم ويحـفظ. وقـال عنه الحـافظ الذهبي: مـفـيـد بغداد في وقته.

وفاته: توفي عام ٤١٨هـ بمدينة الدينور.

موضوع الكتاب

الكتـاب يـبـحث في المسـائل الاعـتـقـاديـة على منهج أهل الحديث والأثر.

أهمية الكتاب

يعد هذا الكتـاب مـوسـوعة لأسماء علماء أهل السنة، حيث سرد المؤلف ما يقرب من ستمائة من أسمـاء علمـاء أهل السنة، ممـا يزيدنا اطمـئنانًا أن هذه العقيدة مما أجمع عليه.

كذلك أورد المؤلف في كتـابه هذا عـقـيـدة أحد عـشـر إمـامًـا من علمـاء أهل السنة ومـوقـفـهم من المسائل العـقـدية، مـثل: الإمـام أحـمـد، والثـوري، والأوزاعي، وابن عيينة، وغيرهم.

ويعـتـبـر الكتـاب مرجـعًـا مـهمًـا في العـقـيـدة، وأيضًا لعلماء الحديث من حيث الإسانيد، فالمؤلف يروي هذا الكتاب بإسناده.

سبب تأليف الكتاب

صرح المؤلف في المقدمة بأن من أسباب تأليف هذا الكتـاب أن بعض أهل العلم سـألوه أن يؤلف كتابًا في شرح اعتقاد أهل الحديث، وأيضًا لما رآه من علماء زمانه من انصراف عن مذهب أهل السنة والانشغال عنه بما أحدثوه من العلوم الأخرى.

منهج المؤلف

ذكر المؤلف رحـمـه الله منهـجـه في مـقـدمـة الكتاب والطريقة التي سيتبعها في التأليف وهي:

- أنه لم يـبـدأ في تأليف هذا الكتـاب حـتـى تصفح عامة كتب الأئمة الماضين وعرف مناهجهم.
- وأنه فصّل المسائل الخلافية، وبيّن المحدث لكل مسألة والفترة الزمنية التي أحدثت فيها.
- وأيضـاً الاسـتـدلال على صـحـة مـذهب أهل السنة بالقرآن، فإن لم يجد فبالسنة، وإن لم يجد فـبـقـول الصـحـابة، فـإن لم يجد فـعن التـابعين، ثم أخـبـر أنه لـم يسلك فـيـه طريـق التـعـصب لأحـد من الناس.

نسخ الكتاب

هناك طبعة تقع في أربعة مجلدات بتحقيق د. أحمد سعد حـمدان، كانت ناقصة، ثم يسر الله للمـحـقق إتمامـهـا، وهي ثمـانيـة أجزاء في أربعـة مجلدات.

مسائل الكتاب

قـسم المؤلف كـتـابه هذا إلى ثمـانيـة أجـزاء تناول فيها مسائل العقيدة، ومن هذه المسائل: ذكر علمـاء أهل السنة والجمـاعة، والحث على التمسك بالسنة واجتناب البدعة، والتوحيد وأسماء الله وصفاته، واعتقاد أهل السنة في القرآن، ومـبـحث في القـدر والإيمان كـذلك، والبـعـثـة النبـويـة والمعجزات، والقبر وما فيه، والأمور الواقعة يوم القيامة، وعلامات الساعة، وفضائل الصحابة.

أهم مسائل الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة عرض فيها بعض جوانب العقيدة؛ من وجوب معرفة المرء ما يعتقده في الله وأسمائه وصفاته وتوحيده، وما كان عليه السلف والصـحـابة والتـابعـون، وأن النجـاة في اتباعهم، وفشل العقائد المبتدعة أمام عقيدة أهل السنة والجمـاعة، وبداية ظهور البـدع، ونصـرته لأصحاب الحديث، وقوله: هم أولى الناس بالاتباع، وذكر فضلهم على الأمة؛ في حفظهم ونقلهم للسنة وأمور الدين.

ثم بدأ بذكر الأبواب، وأول هذه الأبواب: باب ذكر من رُسم بالإمامة في السنة والدعوة والهداية، وسرد حوالي ٣٦ صحابيًا، وحوالي ١١ تابعيًا، ثم أخذ يسرد في أسماء كل طبقة في كل مصر وعصر من أهل مكة والشام والحجاز والجزيرة ومصر، وغيـرها من المدن والأمصـار من علماء أهل السنة فيهم.

ثم أورد بعدها مباشرة أحاديث وآثارًا توضح فضل من حـفظ السنة ومن أحـيـاها ودعـا إليـهـا، وأورد حـديث مـسـلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسـول ﷺ قـال: «من دعـا إلى هدى، كـان له من الأجـر مـثل أجـور من تبـعـه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا..» الحديث.

وذكر من الآثار: عن يوسف بن أسباط قال: كان أبي قدريًا وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان.

وذكر أثرًا أيضًا عن سفيان الثوري أنه كان يقول: إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة!!

ثم أخذ يسرد اعتقاد أئمة أهل السنة؛ كاعتقاد الإمام أحمد والثوري والأوزاعي وابن المديني، حتى بلغ أحد عشر إمامًا تقريبًا، ومن هؤلاء الأئمة: سفيان بن عيينة، فقد نقل عن اعتقاده رحمه الله قوله: السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك شيئًا فقد ترك السنة، وهي: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.

وتحت باب: جماع توحيد الله عز وجل وصفاته وأسمائه وأنه حي قادر عالم سميع بصير متكلم مريد باقٍ، أثبت فيه أن معرفة الله تعالى وصفاته ومعرفة رسوله تتم بالسمع لا بالعقل.

وأخذ يسرد الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فقال معلقًا على ذلك: أخبر الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد.

وقال: كذلك وجوب معرفة الرسل بالسمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]. فدل على أن معرفة الله والرسل بالسمع كما أخبر الله عز وجل، وأخذ يأتي بالأدلة من السنة أيضًا.

ثم قال: سياق ما روي في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، «وأن الله على عرشه في السماء». وأتى بأكثر من دليل من كتاب وسنة وآثار للتابعين؛ منها من القرآن قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، ومن السنة حديث الجارية المشهور التي قالت: إن الله في السماء. ونقل إجماع الصحابة والتابعين وأقوالهم على هذه العقيدة أن الله في السماء، منها أثر عن ابن عباس قوله: «إن الله عز وجل كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا». وأثر ربيعة عندما سئل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.

وفي مسائل الصفات لله سبحانه وتعالى أخذ يسرد صفات الله تعالى؛ مثل السمع والبصر واليد والوجه والضحك والكلام ونزوله سبحانه وتعالى، وغيرها من الصفات، فيثبتها له سبحانه وتعالى ويأتي بالأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين، فمثلاً أتى بحديث رسول الله ﷺ في إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى، وأن كلتا يديه يمين في قوله ﷺ: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين...» الحديث.

وأورد أثرًا عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وذُكر عنده هذه الأحاديث؛ ضحك ربنا عز وجل، والكرسي موضع القدمين، وأن جهنم لتمتلئ فيضع ربك قدمه فيها. وأشباه هذه الأحاديث.

فقال أبو عبيد: وهذه الأحاديث عندنا حق يرويها الثقات بعضهم عند بعض، إلا أنا إذا سُئلنا عن تفسيرها، قلنا: ما أدركنا أحدًا يفسر منها شيئًا، ونحن لا نفسر منها شيئًا، نصدق بها ونسكت.

ثم أخذ يسرد الأحاديث في فضائل نبينا ﷺ، وابتداء الوحي وبعثته ومعجزاته من انشقاق القمر، وحنين الجذع، الذي رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع، فأتى النبي ﷺ فمسحه.

ثم انتقل في موضع آخر من الكتاب يسرد فيه أحاديث وآثارًا عن أحوال يوم القيامة، وإثبات الشفاعة، وما روي في الحوض، وإثبات عذاب القبر، والصور، والحشر والميزان، وأن الأموات لا يشعرون بالأحياء، فقال في الشفاعة: وأن المقام المحمود هو الشفاعة.

وأورد حديث البخاري عن ابن عمر يقول: إن الناس يوم القيامة يصيرون جثيًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع لنا حتى تنتهي بالشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وقال في العرض والحساب يوم القيامة: عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، ويقال: أين الأمة الأمية ونبيها. فنحن الأولون الأخرون».

وتحت باب علامات الساعة قال: سياق ما روي عن النبي ﷺ في خروج الدجال والإيمان به خلاف ما قالت المبتدعة: إن الدجال كل رجل خبيث!! وذكر حديث الرسول ﷺ في صفات الدجال في قوله: «ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، بين عينيه مكتوب كافر».

ثم ختم المؤلف كتابه بفضائل الصحابة وأمهات المؤمنين وذم الروافض الذين يسبون الصحابة.

رحم الله المؤلف، ونفع المسلمين بكتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان

فِرق حذر منها العلماء

فرقة الأحبَاش

بقلم: محمد السبيعي

وتسمّي نفسها: جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

الأحباشُ فرقة ضالة، تتخذ من لبنان مركزًا رئيسيًّا لها، ولها أكثر من أربعين فرعًا في دولٍ عدَّة، منها الأردن، وأستراليا، والسويد، وفرنسا، وسويسرا، وأمريكا، وبريطانيا، وبلجيكا، وألمانيا، وروسيا، وغيرها. تنسب لمؤسسها الضَّالّ عبدالله الحبشي الهرري، من بلاد «هرر» في الحبشة بأثيوبيا، والمذكور يُشكُّ في أمره، إذ إنَّ فتاويه وأعماله تدلُّ على أنه دخيل على الإسلام؛ لتفريق الصف ّ بين أهل السنة والجماعة، كما دُسَّ غيره ممَّن باعوا دينهم وضمائرهم لتنفيذ مخططات اليهود ودُعاة الباطل.

قدم الهرريُّ إلى الشام سنة (١٣٧٠هـ) لنفثِ سمومه القاتلة، بعد أن نشر عقائده الفاسدة في بلاد الحبشة، وحارب أهل التوحيد فيها، وتعاون مع حُكَّامها الظَّلَمة في إغلاق المدارس السلفية، وتسليم مَن يخالفه من الدعاة والعلماء إلى حكومة الطاغية «هيلا سلاسي»، حتى أطلق عليه الناس: شيخ الفتنة، وفي دمشق لم يجد المرتع الخصب والمناخ الملائم لترويج بضاعته الفاسدة؛ لانكشاف أمره وبيان قصده، وذلك بفِطنة أهل الفضْل، أمثال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رحمه الله، حيث تصدُّوا له بالردود الفعالة على هُرائه وكذبه وافتراءاته، وانتقل إلى لبنان، وهناك ساعده قلة العلماء وكثرةُ الجهلاء في تمكينه وحصوله على بغْيته، وقد قال عنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، في فتواه (١٤٠٦هـ)- في مَعْرِض جوابه للجالية الإسلامية اللبنانية بأستراليا-: «إنَّ هذه الطائفة معروفة لدينا، فهي طائفة ضالَّة، ورئيسهم المدعو: عبدالله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله، فالواجب مقاطعتُهم وإنكار عقيدتهم الباطلة، وتحذير الناس منهم، ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون».

إنَّ من الأساليب التي استعملها في بداية أمره في لبنان لجذبِ الناس، ولفت الأنظار إليه: قَصَّ القصص والخرافات، وتأويل الرؤى والأحلام في المقاهي وأماكن التجمعات، فكان الكثير من النساء والشباب والرِّعَاع من الناس يتهافتون عليه، وعنده يجدون ما يروق لهم من الفتاوى الكاذبة والأباطيل الزائفة.

ومن ذلك ما يلي:

- الأحباش يُجيزون الزنا بنساء أهل الكتاب نكاية في دينهن- كما قالوا- ولأنهنَّ نقضْنَ عهد عمر رضي الله عنه.
- يُهوِّنون من شأن المعاصي، مثل لمْس المرأة الأجنبية وتقبيلها، ومفاخذتها ومباشرتها، إلاَّ الإيلاج، بحجَّة أن ذلك من الصغائر، مما روّج لمذهبهم بين أوساط الشباب المُراهِق والمنحلّ.
- يُجوِّزون الاختلاط بين الرجال والنساء في الدروس والاجتماعات، وفي المسابح شبه عُراة.
- إباحة إتيان المرأة في دُبُرِها، وإباحة الغناء والرقص.
- إباحةُ الربا من بنوك الكفار بلبنان، بزعمهم أنه يجوز أخذ مال الكفار في دار الحرب.
- إسقاط الزكاة في العملة الورقية، وإيجابها في الذهب والفضة فقط.
- إباحة الدفوف والمزامير في المساجد في الاحتفالات والموالد.
- إباحة اليانصيب (الميسر)، وغير ذلك من تحليل المحرمات.

وجمعية الأحباش تتظاهر بالتعليم الديني، وبناء المساجد والمدارس، ومساعدة الأيتام

والفقراء، وغير ذلك من أعمال البر، «شعارات برّاقة» ليبتزّوا بها أموال المسلمين المغفّلين؛ ليفسدوا بها أبناء الإسلام ويحاربوا الموحِّدين منهم.

ومن أنشطة الأحباش ما يلي:

- تركيزُهم على المساجد، لتكون مساجد ضرار ومراكز لهم باسم الصلاة والدين، ومن خلالها يُفسدون عقائد المسلمين.

- بثُّ سمومهم وعقائدهم عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، باسم المسلمين من أهل السنة، «إذاعة محلية في لبنان، مجلة شهرية، وعبر التلفاز لقاءات ودروس مع مشايخهم بصفةٍ مستمرة».

- طبع الكتب والمنشورات والأشرطة، وتوزيعها في المواسم والمناسبات في لبنان، وعبر مراكزهم في الدول الأخرى.

- تكوين فرقٍ للغناء والأناشيد الدينية كما يزعمون، كالأناشيد التي يتبجّحون بها على نفي العلو لله تعالى، مثل: «الله ليس في السماء، وليس له مكان»!! عليهم من الله ما يستحقون.

- حرصهم على نشر الشرك بالله، بانتشار أشعار المتصوفة؛ كالبوصيري وابنِ الفارض، يصاحب ذلك أنغام موسيقية على الدُّفِّ والمزامير، مع أناشيد العِشْق والغرام الديني- كما يزعمون- وفي المساجد أيضًا.

- يهتمون بالأندية الرياضية والدعوة النسائية لها، حتى قيل: إن أكثر أتباعهم من النساء؛ لأن فتاوى الحبشي وزُمْرته الفاسدة تناسب ميولهن ورغباتهنّ، كالسفور والاختلاط الماجن والغناء والرقص، وغير ذلك، وهذا من دأب أعداء الإسلام، بالتركيز على النساء وإفسادهن؛ لأنَّ النساء إذا صلحن صلح المجتمع، وإذا فسدن فسد المجتمع.

- الأحباش يُشْبِهون الخوارج، فهم يكفِّرون علماء الأمة وأئمتهم ودعاتهم، كالإمام ابن جرير الطبري، وابن خزيمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وإمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأحفاده وأتباعه، وكذلك تكفير أعلام الأمة وعلمائها المعاصرين، كالشيخ: عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، والألباني، وأبي بكر الجزائري، ومشايخ الحرمَيْن، وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وبالمقابل يمجِّدون أهل الأهواء وأصحاب البدع.

- يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، بل إنهم يكفرون من يعتقد ذلك، ويقولون: الله ليس فوق ولا تحت، ولا عن يمين ولا عن شمال، ولا داخل العالم ولا خارجه، فشبَّهوه بالعَدَم كقول الجهمية.

- يقولون: إنَّ الكافر مضطر ومجبور على الكفر، بسبب أن الله هو الذي أمكنه عليه فلا يستطيع ردّه. ويقول شيخهم الضالّ في ذلك- في شرحه لكتابه «الصراط المستقيم»: لولا إعانةُ الله للكافر على الكفر، ما استطاع أن يكفر.

- يبيحون الاستغاثة بغير الله من المخلوقين، وطلب الحاجة منهم والمدد، وقد أفتى شيخهم الهروي بذلك، فهو يقول: «الاستغاثة بغير الله والاستعاذة لا تُعتَبر شركًا كما زعم ابن تيمية والوهَّابيون من بعده». ويقول- ردًا على سؤال حول مَن يستغيث بالأموات-: «يجوز ذلك؛ فإنه يجوز أن يقول: أغثني يا بدوي، ساعدني يا بدوي». قيل له: إن الأرواح تكون في برزخ معين، فكيف يُستغاث بهم وهم بعيدون؟ فأجاب بقوله: «الله تعالى يكرمهم بأن يُسمعهم كلامًا بعيدًا وهم في قبورهم، فيدعون لهذا الإنسان وينقذونه، وأحيانًا يخرجون من قبورهم، فيقضون حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إلى قبورهم».

- يقولون بفسق أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ويسبُّون على المنابر كلَّ مَن اشترك من الصحابة على عليٍّ.

وحتى ننفي كلَّ شك في أن الحبشي الضالّ عميل للأعداء مُنَفِّذٌ لمخططاتهم، فقد طلب مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد رحمه الله- في عهد رئيس الحكومة رشيد كرامي- أن يمنع الحبشي من عودته إلى لبنان في إحدى أسفاره، لِمَا يقوم به من دور مشبوه، وخطر على أهل السنة، فاستجاب رئيس الحكومة، ومنع الحبشي من دخول البلاد، ولكن لم يمض سوى أسابيع قليلة حتى أمرت السفارة البريطانية ببيروت رئيس الدولة- آنذاك أمين الجميل- وكذلك رئيس الحكومة بضرورة دخول الحبشي للبنان، فرضخت الحكومة للأمر تحت وطأة الضغط البريطاني، وجزاءُ المفتي قتلُه على يد الأحباش، بعد أن كفَّروه وشنُّوا عليه حربًا شعواء، فماذا يعني كلُّ هذا؟!

رفقًا بعوام المسلمين

بقلم: علي بن السيد الوصيفي

الحلقة الأولى

كم عندنا من المضحكات المبكيات، فلا تكاد ترفع رأسًا إلا وترى فيما ينفعك ما يضرك، فالخلل ظاهر، فما من خير إلا وفيه دَخَنٌ، «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». بل وأشد من ذلك من غلب شره وزاد ثلبه وعيبه، حتى صارت البدع على يديه سننًا والسنن بدعًا، فهم «دعاة على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها». [رواه البخاري في المناقب (٣٤١١) عن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه].

والوقائع فوق الحصر- نسأل الله أن يحفظنا من الزلل، اللهم آمين- من ذلك ما حدَّث به كثير من الناس أن أحد الشيوخ زعم أن والده لما حضرته الوفاة وفد إليه أشياخ الطرق الصوفية البدوي والشاذلي والدسوقي وغيرهم يزورونه ويلقون عليه التحية والسلام، هذا هو الخبر، ومع غرابته لم أتعجب منه لأنه قديم فهو من معتقدات الصوفية باختلاف ألوانهم وطرقهم، إذ يدعون أن رسول الله ﷺ يخرج من قبره ليلقاهم في مجالسهم، وكذا الخضر عليه السلام بل والملائكة أيضًا، كما بيّن ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» (١\٣٢٠) عن أحمد بن هلال الحساني الصوفي- أحد زنادقة الوقت- زعم أنه يجتمع بالأنبياء كلهم في اليقظة، وأن الملائكة تخاطبه في اليقظة، وأنه عرج به إلى السماوات.. إلخ. انتهى.

وذكر الشعراني في «الطبقات» (١\١٤) قال: وعقدوا للشيخ عبد الله بن أبي حمزة مجلسًا في الرد عليه حين قال: أنا أجتمع بالنبي ﷺ يقظة. انتهى.

قلت: وهذا الزعم- وهو رؤية الرسول ﷺ أو غيره يقظة بعد الموت- لا حقيقة له في الكتاب الكريم، ولا أصل له في السنة المطهرة، وما هو إلا تلبيس حل بمن لا علم لهم ولا دراية بمكائد الشيطان وأمانيه، والمقام ليس مقام اعتراض على وقوع تلك الحوادث لهم، فقد تقع فعلاً، هذا أمر محتمل أن يقابلك رجل ويقول لك: أنا رسول الله هذا ممكن!!

حكى شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي في كتابه المستطرف (ص٣٥)، وقال: خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي، هل من قرى، فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه، فلما شرب قال: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: بارك الله لك في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال له: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: لا، أنا من قواد أمير المؤمنين، قال: رحبت بلادك وطاب مرادك، ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين، قال: لا، ولكني أمير المؤمنين. قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها، وقال: إليك عني، فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله، فضحك المهدي حتى غشي عليه، ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فقال له: لا بأس عليك ولا

خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل. انتهى.

نعم أن يقابلك رجل مجنون، أو شيطان له القدرة على التصور في الصور، ويقول لك أنا رسول الله ﷺ، أو أنا الخضر، أو أنا شيخك، ويعينك في كثير من الأمور لجهلك وضعف دينك هذا يقع، وأكثر منه، ولكنه لا يروج على العقلاء والصالحين من الناس.

يحكي عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي أنه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع، وقد وجد رقة، فإذا المحراب قد انشق، وخرج منه نور عظيم، ثم بدا له وجه كالقمر، وقال له: تملأ من وجهي يا أبا ميسرة، فأنا ربك الأعلى، فبصق في وجهه، وقال: اذهب يا لعين، عليك لعنة الله. [«الموافقات» (٢\٢٠٩، ٢١٠)].

ويحكي أيضًا عن عبد القادر الجيلاني أنه عطش عطشًا شديدًا، فإذا سحابة قد أقبلت، وأمطرت عليه شبه الرذاذ، حتى شرب، ثم نودي من سحابة: «يا فلان، أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات». فقال: اذهب يا لعين، فاضمحلت السحابة. وقيل له: بم عرفت أنه إبليس؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرمات. [«الموافقات» (٢\٢٠٩، ٢١٠)].

فهذا الشيطان ادعى لأبي ميسرة أنه رب العالمين، وكذلك لعبد القادر الجيلاني، فلا يبعد أن يدعي أنه الخضر عليه السلام، أو أنه الرسول عليه الصلاة والسلام. وقد كانت قوة الدين من أقوى الموانع التي حالت دون تلبيس الشياطين على الصحابة رضوان الله عليهم في مثل ما لبسوا به على الصوفية في مسألة رؤية الأموات يقظة، فما كان يجرؤ على لقائهم بهذا التلبيس، فهذا عمر رضي الله عنه ما سلك فجًا إلا وسلك الشيطان فجًا غير فجه، كما ثبت في الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٧\١٨): ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر ولا أنه أتى إليه النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدرًا، من أن يلبس الشيطان عليهم، ولكن لبس على كثير ممن بعدهم، فصار يتمثل لأحدهم في صورة النبي، ويقول: أنا الخضر، وإنما هو شيطان، كما أن كثيرًا من الناس يرى ميته خرج، وجاء إليه وكلمه في أمور، وقضاء حوائج، فيظنه الميت نفسه، وإنما هو شيطان تصور بصورته. انتهى.

وفي الحقيقة نحن لا نكذب الرائي أنه رأى شيئًا، وإنما نقول: لم لا تخرج نفسك من هذا الوهم بسؤال أهل العلم القائمين على حدود الله تعالى، الحافظين للسنن، لعل الأمر أن ينجلي، والحقيقة أن تظهر وتعرف عدوك، الذي يريد تضليلك وإخراجك عن دينك؟

ولكن هيهات هيهات، فهم لا يسلمون لعلماء الشريعة، ومن جهة أخرى فهم يرتقون في الأمر إلى ما هو أعظم من مجرد الخروج.

إذ يعتقدون أن هذا الظاهر لهم يغيثهم في الكربات والشدائد، ويمدهم بالعطايا والمواهب، ويعلمهم الأذكار والصلوات، ويسلمهم الخِرَق، ويورثهم العلوم اللدنية، حتى اعتبر بعضهم أن من لم يبلغ هذا المقام فليس من المسلمين.

يقول المرسي أبو العباس: لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ!! ولو حجبت عنه طرفة عين ما عددت نفسي من جملة المسلمين. [«جامع كرامات الأولياء» (١\٥٢٠)].

وأعظم من غلا في هذا الأمر أبو العباس أحمد بن المختار التيجاني شيخ الطريقة التيجانية، فقد زعم التيجاني- كما في كتاب «جواهر المعاني» لعلي بن حرازم الباب الأول- أنه لقي النبي ﷺ يقظة لا منامًا، وأنه أذن له في تربية الخلق، على العموم والإطلاق، وأخذ عنه الطريقة الصوفية مشافهة، وأمره أن يترك كل طريق أخذه من مشايخ الطرق الصوفية؛ اكتفاءً بما أخذه عن رسول الله ﷺ مشافهة، وعين له النبي ﷺ الورد الذي يلقنه مريديه، وهو الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وذلك سنة ١١٩٦ من الهجرة، وكمل له الورد بسورة الإخلاص على رأس المائة. [«فتاوى اللجنة الدائمة» (٢\٢٣٠)].

ولقد انتشرت تلك الحكايات بين الصوفية بأسانيد واهية ومتون مضطربة، ولا يخفى عليك أنهم يقبلون تلك القصص، ويتشربون من تلك الأكاذيب؛ بسبب تعظيمهم شيوخهم، وتقديسهم لهم. ويوجد في كثير من تراجم الصوفية مثل ذلك، ومن ذلك ما حكاه النبهاني أن النبي ﷺ مد يده من القبر ليسلم على أحمد الرفاعي عند زيارته له. فقال: وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له ﷺ

ورده عليه، ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعي، في حال زيارته للقبر الشريف من قوله:

في حال البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وقد كذَّب العلامة محمود شكري الألوسي تلك القصة في «غاية الأماني في الرد على النبهاني» من عدة أوجه، منها:

١- أنه قد ترجم لأحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم في المذهب ولم يذكروا هذه القصة في ترجمته. وقال أيضًا: مع أن هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعي على نقلها؛ لأنها حادث عظيم، وخارق عجيب، فالشيء الذي تتوفر الدواعي على نقله، ولم يذكره أحد من الثقات، بل ذكره الدجالون الضالون المضلون، فهو لا شك تزوير وبهتان، وكذب من إفك الشيطان.

٢- أن كثيرًا من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير أحمد الرفاعي. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في «تذكرته»: حكى أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وكفى ما ذكره الشيخ صلاح الدين شاهدًا على بطلان ما ادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم.

٣- أن الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا أن من كان حاضرًا هناك، ورأوا اليد، وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون!!

سبحانك هذا بهتان عظيم، كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد الكثير؟ وأي محل في المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم؟ ثم إن القبر قد أحاطت به الجدران، فمن أي شباك خرجت اليد؟ ومن المعلوم إذا كان أمر عجيب وشيء غريب يتهافت على رؤيته الراؤون، فلا يمكن الرؤيا إلا للقريب، وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع؟

فانظر إلى هذه الأكذوبة، التي لا تروج على ضعفاء العقول، ومع ذلك قد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء، واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم، وأغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة؛ ليفضحهم بها في الدنيا والآخرة، انتقامًا لأهل الحق منهم. [وانظر «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١\٢٢٢- ٢٢٤)].

وهذا أمر منتشر عند الصوفية بدرجاتهم المختلفة، سواء كانوا من صوفية الأرزاق، أو صوفية الرسوم، أو صوفية علوم العرفان والنظر أتباع ابن عربي والتلمساني وابن الفارض وغيرهم من مدعي الصفاء والمشاهدة.

فقد زعم ابن عربي الحاتمي أن بإمكانه أن يستدعي أرواح الملائكة والأنبياء في الوقت الذي يريد، وبأي كيفية يشاء. قال الصدر القونوي الرومي: كان شيخنا ابن عربي متمكنًا من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء الماضين، على ثلاثة أنحاء: إن شاء استنزل روحانيته في هذا العالم، وأدركه متجسدًا في صورة مثالية، شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا، وإن شاء أحضره في نومه، وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به. [«الشذرات» لابن العماد (٥\١٩٦)].

قلت: وهذا من الكذب العريض الواسع، بل هو دون الجهل وفوق الجنون بدرجات عالية، فكم أردى الشيطان قومًا لو تفكروا بحق لميزوا، ولو اتبعوا كما أمروا لنجوا. أعاذنا الله وإياك من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى.

وهنا أمر مثير للنظر والفكر، ماذا يريد هؤلاء من ذلك؟ هذا سؤال مهم... والجواب: يريدون أربعة أمور رئيسة:

١- أن يرحل الناس إليهم للتبرك بهم واتخاذهم واسطة إلى الله تعالى.

٢- أن يجعلوا لأنفسهم مزية على علماء الشريعة والدين.

٣- أن يفتحوا بابًا لبناء المقابر على المساجد شهرة وجاهًا وذكرًا لأوليائهم.

٤- أن يفتحوا السبل لجمع أموال الناس بالباطل، كما في صورة تلك النذور الشركية، وهي بالملايين ليلتهموها على حساب عقيدة التوحيد والسنة.

هذا هو هدفهم السري وخططهم غير المعلن.
وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بين السنن والمبتدعات

في فضل الحج والعمرة

بقلم:

محمد بن عبد السلام الشقيري

في البخاري: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». وفيه عن عائشة قالت: نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور». وفي «الصحيحين» قال ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وفي «مسلم» أنه ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

الترهيب من ترك الحج للقادر عليه

روى الترمذي والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا»، وذلك أن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾، وأنكر رفْعه الحافظ ابن كثير في تفسيره، وذكر عن عمر أنه قال: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا. ثم قال: وهذا إسناد صحيح. وذكر عن عمر أنه قال: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان له جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين. اهـ.

وروى البزار أنه ﷺ قال: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد في سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم له»(١).

منكرات وبدع الحج

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه «نقد العلم والعلماء»: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضا الوالدين وهذا خطأ، وربما حج وعليه ديون أو مظالم، وربما خرج للنزهة، وربما حج بمال فيه شبهة، ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال له: الحاج، وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة، ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية، وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم، وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان، وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى، وكم من قاصد إلى مكة همته عدد

حجاته فيقول: لي عشرون وقفة. وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع في تنقية باطنه، وربما كانت همته متعلقة بفتوح تصل إليه ممن كان، وربما قال: إن لي اليوم عشرين سنة مجاورًا. وكم قد رأيت في طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفاقه على الماء ويضايقهم في الطريق، ولقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة، فهم يضيعون الصلوات، ويطففون إذا باعوا، ويظنون أن الحج يدفع عنهم، وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا من المناسك ما ليس منها، فرأيت جماعة يتصنعون في إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة، ويبقون في الشمس أيامًا فتكشط جلودهم وتلفح رءوسهم، ويتزينون بين الناس بذلك. وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه. وفي لفظ آخر: رأى رجلاً يقوده إنسانًا بخزامة في أنفه فقطعها بيده، ثم أمره أن يقود بيده. قال: وهذا الحديث يتضمن النهي عن الابتداع في الدين، وإن قصد بذلك الطاعة.

ثم قال: وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ. قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد، فقال له أحمد: فاخرج من غير القافلة. قال: لا إلا معهم. قال: فعلى جراب الناس توكلت. فنسأل الله أن يوفقنا. اهـ.

ومن البدع:

التمسح بجدران الكعبة كلها؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، وإنما كان يمس الركن اليماني، ويقبل الحجر الأسود، وكذا كتابة أسمائهم على حيطان الكعبة، وتوصيتهم بعضهم بذلك بدعة وجهل، واهتمامهم بزمزمة لحاهم وزمزمة ما معهم من النقود والثياب لتحصل لها البركة، كل هذه بدع لم تشرع ولا خير فيها ولا بركة، ومنهم من يعتقد أن من تمام الحج تقديس حجه بزيارة قبر الخليل، وإلا فحجه ناقص أو غير صحيح، وهذا جهل واعتقاد فاسد، لأن الحج عبادة مستقلة لا تعلق له بغيره، وأما زيارة بيت المقدس فسنة مستحبة، لأن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة.

وحديث: «من زراني وزار أبي إبراهيم في عام ضمنت له على الله الجنة» باطل موضوع، كما قاله النووي وابن تيمية وغيرهما. وتبييض بيت الحاج بالبياض والجير، ونقشه بالصور وكتابة اسم وتاريخ الحاج عليه بدعة وضلالة، وتظاهر ورياء وجهالة وغفلة عن المشروع، وعدول عنه إلى المبتدع المذموم الممنوع، وكذا إقامتهم السرادقات- الصواوين- وذبحهم الذبائح، وتفريقهم للمشروبات والسجائر على القادمين وملاقاة الحاج بالبيارق والباز أو الطبول، واجتماع النساء للزغاريد، واستحضار الفقراء للذكر بالتنطيط، أو الراقصات للرقص، كل هذا وغيره مما لا يليق حصوله من مسلم شم رائحة الشريعة الإسلامية، بل هذا إذا رآه الأجانب أعداء الإسلام استهزءوا بنا، وعرفوا أن هذا الدين كله سخرية وهذيان ولهو ولعب.

إنني أقول: ما من عبادة، وما من ركن، ولا سنة إلا وقد دخل عليها من الجهل والبدع والخرافات ما أفسدها وشوهها، ولا لوم أصلاً على أحد من أهل الأرض جميعًا سوى العلماء فإنهم لم يقوموا بواجبهم نحو تعليم الناس أمور دينهم، والله الموفق.

الهوامش:

(١) المذكور في الحديث سبعة لا ثمانية، ولعله: «الصيام سهم» هي الثامنة.

الفصل بين التأويل والتبديل

بقلم: د. محمود عبد الرازق
الأستاذ المساعد
بقسم العقيدة جامعة الملك خالد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

أغلب المخالفين للسلف الذين تنكروا لطريقة التصديق بخبر الله في الغيبيات وما ورد في الكتاب والسنة من صفات الباري سبحانه قاموا بتحريف النصوص تحت مسمى التأويل واتباع الأصول العقلية التي تحكم العقائد الدينية، وأن تلك الأصول هي الفيصل في الحكم على كل قضية كلية أو جزئية في هذا الباب.

وقد اشتهر ذلك بين الناس، حتى أصبح المنكر لتأويلهم الرافض لتبديلهم له نظرة خاصة في أعينهم، فإما يصفونه بالجمود اللغوي وعدم التذوق الأدبي، وإما ينعتونه بأنه مشبه متقيد بظاهر النص الذي يدل على التشبيه، ومن المؤسف أنهم غرسوا في حفيظة أبنائنا منذ الصغر أن:

كل نص أوهم التشبيها
أوِّله أو فوض ورُم تنزيها

بينها وبين التحريف والتبديل، فعلماء السلف الصالح استعملوا التأويل في عصرهم بمعنًى لم يُعرف بين علماء الكلام من الأشعرية وغيرهم، فالتأويل ورد في الكتاب والسنة على معنيين اثنين فقط:

المعنى الأول: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو وقوع الخبر وتنفيذ الأمر الذي ورد بين الكلمات.

وهذا المعنى هو الذي جاءت به آيات القرآن الكريم، فلقد تكررت كلمة «التأويل» في القرآن في أكثر من عشرة مواضع، كان معناها في جميع استعمالاتها هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ويعود عليها، كقوله تعالى عن يوسف عليه السلام بعد أن تحققت رؤياه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، فقد كان هذا الحدث هو تأويل الرؤيا التي وردت في أول السورة، والتأويل بهذا المعنى قد استعمل في نوعي الأسلوب اللغوي؛ لأن الكلام العربي نوعان:

١- إنشائي: وهذا يشمل الأوامر الشرعية والأحكام التكليفية على تنوع أحكام العبودية، فتأويل الأمر في هذا النوع تنفيذه، ومن هنا قال السلف: إن السنة هي تأويل الأمر وتنفيذه. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوه: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن». [رواه البخاري في كتاب الأذان برقم (٨١٧)].

تعني أنه كان ينفذ في سجوده الأمر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

٢- خبري: وهذا يشمل خبر الله عن أمور الغيب؛ كالقيامة وأحوالها وأهوالها، ومن هذا الباب الكلام في ذات الله وصفاته وأفعاله.

وتأويل هذا النوع وقوعه وحدوثه وليس تأويله فهم معناه، وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفًا ولا قدرًا إلا الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله يقول: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فإن الله أخبر أن في الجنة خمرًا ولبنًا وعسلاً، ونحن نعلم أن حقيقة هذه الأشياء ليست ومن هنا جاءت أهمية الكشف عن حقيقة التأويل التي وردت في الكتاب والسنة والفصل

مماثلة لحقيقة ما نراه منها في الدنيا، بل بينهما تباين عظيم مع وجود نوع من الاشتراك والمواطأة في الأسماء المجردة، ولكن هناك خاصية لتلك الحقائق في ذاتها لا سبيل لنا إلى إدراكها في الدنيا لعدم وجود نظيرها عندنا، ومعرفة هذه الحقائق على ما هي عليه هي تأويل ما أخبر الله به في القرآن الكريم، وهذا التأويل اختص الله بعلمه ولا سبيل لأهل العلم إلى معرفته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فيجب الوقوف على لفظ الجلالة بهذا الاعتبار، ولكن يجب التنبيه إلى أن جهلنا بحقائق هذه الأشياء في ذاتها لا ينفي علمنا بالمعنى الذي خوطبنا به في ذلك، لوجود الفرق الكبير بين علم المعنى وبين علم الكيفية التي دلت عليها النصوص. [«رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٠- ١٢) بتصرف].

وقد استعمل عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام في باب الخبر، وهو وقوع المخبر به ووجوده سواء كان ذلك في الماضي كالقصص التي أخبرنا عنها القرآن، أو في المستقبل كأخبار القيامة والجنة والنار، فقد روى أبو الأشهب عن الحسن والربيع، عن أبي العالية أن هذه الآية قُرئت على ابن مسعود رضي اللَّه عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال: ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حيث نزل، فمنه آيات قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آيات وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ، ومنه آيات وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه آيات يقع تأويلهن يوم القيامة، وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعًا ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعًا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويلها. [«تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص١٠٧)].

وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ [آل عمران: ٧]، فقال ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». [أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٥٤٧)].

فهؤلاء طلبوا ما لا علم لهم به مما اختص الله بعلمه من الأمور الغيبية وكيفية الصفات الإلهية ابتغاء الفتنة وإثارتها بين المسلمين.

المعنى الثاني للتأويل: هو التفسير والبيان، فقد استعمل المفسرون من السلف التأويل في معنى التفسير والبيان، ويقصدون به كشف المعنى وتوضيح مراد المتكلم، وهذا التأويل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله، وحين قرأ عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: (أنا ممن يعلمون تأويله). [«تفسير ابن جرير الطبري» (ج٦، ص١٧٠)].

ومقصده بهذا القول هو العلم بمعاني القرآن وتفسير المراد وبيانه، وكذلك دعاء رسول اللَّه ﷺ له: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». [صحيح. رواه أحمد بلفظه (ج١، ص٢٦٦)، وعند البخاري بلفظ: «اللهم علمه الكتاب» برقم (٧٥)].

وكل ما ورد عن ابن عباس رضي اللَّه عنه من أنه يعلم تأويل القرآن فيحمل على معنى التفسير والبيان، ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق الغيب وتأويل الأخبار الواردة عنها في القرآن؛ لأن ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها.

وابن جرير الطبري في تفسيره يستعمل التأويل بمعنى التفسير والبيان؛ إذ نجده يقول: تأويل الآية عندنا كذا، ثم يشرع في تفسيرها، وقال أهل التأويل فيها كذا، ثم يحكي أقوال المفسرين من السلف فيها، والأشبه بتأويل الآية كذا ومراده بكل ذلك تفسير الآية وتوضيح معناها، ونظرًا لكثرة استعمال التأويل في هذا المعنى عند السلف ولشيوعه بينهم اختلط بمعنى التفسير وأصبح كل منهما يستعمل حيث يستعمل الآخر، فإذا كان مقصدهم بالتأويل هو التفسير وتوضيح المعنى المخاطب به، فإنه يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بعطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة.

التأويل في اصطلاح المتكلمين

اشتهر التأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء

ورجال الأصول بمعنى صرف اللفظ من معنى إلى آخر بدليل.

وقد اشتهر هذا التأويل في كتب الأصول والفقه وكأنه هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل وأصبحت المعاني السلفية بجانبه مخفية عن الأذهان، مع كونها الأصل في المعنى الوارد في القرآن.

وقد استخدم المتكلمون أو الخلف التأويل بهذا المعنى في غير موضعه؛ إذ إنهم صرفوا المعنى الظاهر إلى معنى باطل لا يحتمله النص، فابتدعوا له استعمالاً ممقوتًا في نصوص الصفات الإلهية على وجه الخصوص.

فقالوا: لا بد من صرف النص عن معناه إلى معنى آخر؛ لأن ظاهره باطل يدل على التشبيه، فجعلوا معاني آيات الصفات من المتشابهات المصروفة عن ظاهرها، والحقيقة أن المتشابه هو كيفية الصفة لا معناها، فمعاني النصوص محكمة معلومة وليست ألغازًا أو لغة أجنبية لا يمكن ترجمتها، فالسلف كفوا أنفسهم عن الخوض في كيفية الصفات الإلهية دون المعنى المقصود، ولذلك قال مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)؛ لأنه لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء يريدون أن تكون الآيات التي تتحدث عن الصفات بمنزلة الكلام الأعمى الذي لا يفهم معناه، وإذا طولبوا بمعناه فسروه على أهوائهم بما يصدم كلام الله ويبطله.

أنواع التأويلات الباطلة

١- كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب كتأويلهم لفظ الأحد بأنه المجرد من الصفات أو هو الذي لا قسيم له، فإن هذا غير معروف في لغة العرب.

٢- كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تثنية وجمع وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر، كتأويلهم قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] بأن اليدين هما القدرة أو النعمة، فإن لفظ اليد مفردًا، وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنيين، أما وهو في صيغة التثنية وفي هذا التركيب بالذات فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعنى.

٣- كل تأويل لا يحتمله السياق المعين وإن جاز في غيره، كتأويلهم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] بأن إتيان الرب هنا معناه إتيان بعض آياته، أو إتيان أمره، فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال.

٤- كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ في ذلك المعنى المراد في لغة المخاطب وإن كان مألوفًا كاصطلاح خاص، كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، فإن هذا غير معهود في لغة العرب ألبتة، بل المعهود الأفول بمعنى الغياب، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه؛ لأنه نوع من التلبيس.

٥- التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة؛ لأن هذا لا يقصده المتكلم الذي يريد في خطابه هدى الناس والبيان له كتأويل الاستواء بالاستيلاء، وتأويل الآية: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] بالعذاب، وتأويل النزول بنزول الرحمة وغير ذلك، واعلم أن جميع التأويلات التي ازدحمت بها كتب الخلف لا تخرج عن واحدة مما سبق؛ إذ ليس لتأويلهم دليل لغوي صريح ولا أثر منقول صحيح، بل رائده الهوى والتعصب. [«مقدمة في أصول التفسير» لابن تيمية (ص٤٣) وما بعدها بتصرف].

لوازم القول بالتأويل الباطل

اعلم أن القول بالتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره بدعوى أنه ليس مرادًا يتضمن مجالات كثيرة ولوازم باطلة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أن يكون الرسول ﷺ قد ترك الناس في ذلك بدون بيان للحق الواجب سلوكه ولم يهد الأمة، بل رمز إليه رمزًا وألغز فيه إلغازًا، ومعلوم أنه ليس في الرموز والألغاز بيان.

٢- أن يكون الرسول ﷺ قد تكلم في هذا الباب؛ باب الصفات بما ظاهره خلاف الحق، ولم يتكلم في ذلك كلمة واحدة توافق مذهب الخلف المتكلمين من النفاة.

٣- الطعن في القرآن الذي هو تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وقول فصل ليس بالهزل.

٤- الطعن في وظيفة الرسول ﷺ التي هي البلاغ، والله وصفه بأنه قد بلغ البلاغ المبين.

والله من وراء القصد.

سيكبر التاريخ عند مجيئنا

شعر: حسين إبراهيم حسين

مرَّ الزَّمانُ على كثير قبلنا   لكنه ما صادفَ الشجعانا
تعبَ الزمانُ مِن الزَّمانِ ومن به   فارتادَ يبحثُ تائهًا حَيْرَانا
وإذا به نَصَبَ الخِيامَ بأرضنَا   وأقامَ دَهْرًا يغسلُ الأحزانا
ويقولُ للأيامِ تيهي واسْعَدي   قد حانَ حينكِ ترتعينَ جنانا
ويقولُ للأبطالِ طابَ مقامُكم   فاستبشروا بل بَشِّروا الولدانا
قولوا لِمَن رضعَ المخاوفَ عمره   الآن تُفْطَمُ لن تصيرَ مُهانَا
قولُوا لأُمٍّ ما غَدَتْ أُمًّا تُرى   سيعود ابْنُكِ ينصرُ الأوطانَا
ويشدُّ أزركِ لن تلينَ قَناتُه   إنَّ الفَتَى مَنْ يسبقُ الفرسَانَا
قولوا لرملٍ كان صخرًا هائلاً   ستعودُ صخرًا يرفعُ البُنْيَانا
ما دامَ نسلُ محمَّدٍ لم ينقطعْ   فالحقُّ باقٍ في ذُرَا قُدْسَانا
مهما تكاثرت الجموعُ بأرضنَا   أو إنْ تعالتْ تُشْعِلُ النَّيرانا
فسيُهزمُ الجمعُ على أدبارِهِم   فإذا شككتَ فرتِّلِ القُرْآنا
شَارُون فيه سَفَاهةٌ لا تَنْتَهي   مهما يُبالغُ ذُو الهجَاءِ بيانَا
قُولوا له إنَّ اللسَان يَعَافُه   والنَّفْسُ تكرهُ ذلك الشيطانا
قُولُوا له مَهْمَا أقمتَ فإنَّنا   سنُحَطمُ الطُّغْيانَ والأوثَانَا
فمَآلُكُم تحتَ النِّعَال وإن عَلَتْ   نعراتُكُم فستُوطئُونَ عيانَا
وستشهدونَ بأنَّ جُنْدَ محمدٍ   باعوا النُّفوسَ وأعْلَنُوا الإيمَانا
سترونَ أنَّ بُعَاثَنَا يَسْتَنْسِر   سترونَ طفلاً يسبقُ الرُّكبانا
سَتَرَوْنَ نارًا ليس يُخْمَد لَهْبُها   سترونَ موجًا يحطمُ الشطآنا
سترونَ رعدًا قاصِفًا لَنْ ينتهي   سترونَ أرضًا تقذف البُرْكانا
سترونَ أُمًّا لا تريدُ وليدهَا   ما دامَ يهدِمِ للعدُوِّ كيانَا
ويُعيدُ للأقصى السَّعَادةَ والهنَا   يا طَالَمَا حُرِمَ الهَنَا أقْصَانَا
سيُكبِّرُ التاريخُ عند مجيئنا   ويقولُ هَيَّا نشكرُ الرَّحمانا

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها :

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب وإلى حب الله تعالى حبا صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه وحب رسول الله ﷺ والاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة .

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين؛ القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط عقيدةً وعملاً وخلقاً .

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه وتعالى منازع اياه في حقوقه.

تلقى المحاضرات يومياً بدار المركز العام مساءاً

دعوة لنشر التوحيد عبر

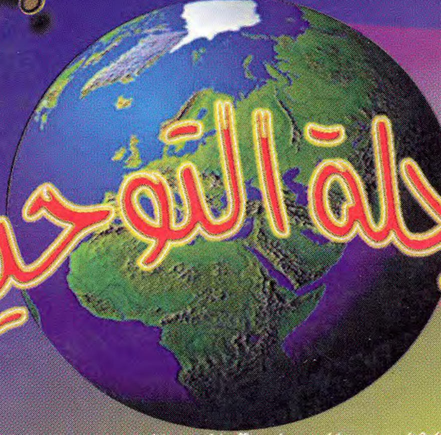

مجلة التوحيد

الحمد لله وبعد

فإن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات ، فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها ، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أُشرِبَتْها كثير من القلوب ، فسقطت صرعى وهلكى أو مرضى في طريق سيرها إلى اللهِ والدار الآخرة. وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة الفاحشة ، فعبدت القبور ، وذبحت القرابين لغير الله عز وجل ،وانتشر السحر والسحرة واتُّبِعت الشهوات وكثرت المنكرات ، لكن سرعان ماتنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم ،فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى ، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء -مجلة التوحيد- منبر الدعوة السلفية بمصر ، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاما .

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الإخوة -حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل ؛ السنة الكاملة بـ١٥ريالا فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه ،و٢٠دولارا قيمة اشتراك خارجي يُهدى لمن يحتاج إلى من ينير له الطريق . فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل،

■ قال ﷺ :«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد ،أنصار السنة . وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه..

التوحيد
تصدر عن
جمعية أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

أسرة مجلة التوحيد